رسالة بابويّة عامّة

لقد أحَبّنا

DILEXIT NOS

لقداسة البابا فرنسيس

في المحبّة الإنسانيّة والمحبّة الإلهيّة

في قلب يسوع المسيح

1. **"**لقد أحَبّنا"، قال القدّيس بولس مشيرًا إلى المسيح (رومة 8، 37)، ولا شيء "يستطيع أن يفصلنا عن محبّته" (راجع رومة 8، 39). وأكّد بولس ذلك، لأنّ المسيح نفسه أكّد لتلاميذه: "أنا أحبَبْتُكم" (يوحنّا 15، 9. 12). وقال لهم أيضًا: "قَد دَعَوتُكم أحِبّائي" (يوحنّا 15، 15). إنّ قلبه المنفتح يسبقنا وينتظرنا دون قيد أو شرط، دون أن يطلب منّا أيّ شيء لكي يحِبّنا ويقدِّم لنا صداقته: هو أحبّنا أوّلًا (راجع 1 يوحنّا 4، 10). ويسوع "عَرَفْنا المحبّةَ الّتي يُظهِرُها اللهُ بَينَنا وآمنّا" بهذه المحبّة (1 يوحنّا 4، 16).

الفصل الأوّل

أهمّيّة القلب

2. نستخدم عادة رمز القلب للتّعبير عن محبّة يسوع لنا. وقد يتساءل البعض هل هذا الكلام ما زال له معنى؟ مع أنّ السّطحيّة التي نعيش فيها، وعندما نعيش ولا نعرف لماذا نعيش في النّهاية، فنصير مستهلكين لا نشبع، وعبيدًا لسوق لا تهتمّ بمعنى وجودنا، كلّ ذلك يفرض علينا أن نستعيد أهمّيّة القلب. [1]

ماذا نعني عندما نقول "القلب"؟

3. في اللغة اليونانيّة الكلاسيكيّة غير الدّينيّة، لفظة "كاردِيّا" (kardía) تشير إلى أعمق جزء في الكائنات البشريّة، وفي الحيوانات والنّباتات. في هوميروس لا تشير فقط إلى المركز الجسديّ، بل أيضًا إلى النّفس والمركز الرّوحيّ للإنسان. وفي "الإلياذة"، الفكر والعاطفة ينبعان من القلب، وهما قريبان جدًّا أحدهما من الآخر. [2] يظهر القلب كمركز للرّغبة والمكان الذي تتكوّن فيه قرارات الشّخص المهمّة. [3] عند أفلاطون، يأخذ القلب على نحو ما وظيفة "توليفيّة" فيجمع بين العقل وما هو ميل في كلّ إنسان، بما أنّ أوامر القوى العليا والعواطف تنتقل من خلال الأوردة التي تتلاقى في القلب. [4] وهكذا أدركنا منذ القدم أهميّة النّظر إلى الإنسان ليس كمجموعة طاقات مختلفة، إنّما هو عالم روحيّ وجسديّ وهو مركز موحِّد يعطي لكلّ ما يختبره الإنسان معنًى وهدفًا.

4. يقول الكتاب المقدّس إنّ "كَلامَ اللهِ حَيٌّ ناجِع [...] ويُوسْعِه أن يَحكُمَ على خَواطِرِ القَلْبِ وأفكاره" (العبرانيّين 4، 12). وبهذا فهو يحدّثنا عن نواة، أي القلب، الذي يكون خلف كلّ المظاهر، حتّى خلف الأفكار السّطحيّة التي تسبّب لنا الاضطراب. كان تلميذا عمواس، أثناء رحلتهما الرّوحيّة مع المسيح القائم من بين الأموات، يعيشان زمن ألم وارتباك ويأس وخيبة أمل. لكن، الأمر الأهمّ هو أنّه حدث شيء ما في أعماقهما: "أما كانَ قلبُنا مُتّقِدًا في صَدرنا، حينَ كان يُحَدِّثُنا في الطّريق ويَشرَحُ لنا الكُتُب؟" (لوقا 24، 32).

5. وفي الوقت نفسه، القلب هو مكان الصّدق، حيث لا يمكن الخداع ولا التّمويه. فيه النّوايا الحقيقيّة، وما نعتقده ونؤمن به ونريده حقًّا، و"الأسرار" التي لا نقولها لأحد، باختصار فيه الحقيقة المجرّدة. هو ما ليس مظهرًا أو كذبًا، بل ما هو أصيل وحقيقيّ، وما نملكه بصورة كليّة. ولهذا السّبب سألت دليلة شمشون الذي لم يخبرها بسرّ قوّته: "كَيفَ تَقولُ: إنّي أُحِبُّكِ، وقَلبُكَ لَيسَ معي"؟ (القضاة 16، 15). ولمّا كشف لها سِرّه الخفِيّ "رَأت دَليلَةُ أنّه قد أطلَعَها على كُلّ ما في قَلبِه" (القضاة 16، 18).

6. هذه حقيقة كلّ شخص وغالبًا ما تكون مخفيّة تحت تراكمات كثيرة تغطّيها، وهذا يجعل من الصّعب الوصول إلى اليقين أنّك تعرف نفسك، ومن الأصعب أن تعرف شخصًا آخر: "القَلبُ أخدَعُ كُلّ شيَء، وأخبَثُه فمَن يَعرفه؟" (إرميا 17، 9). وهكذا نفهم لماذا يحثّنا سفر الأمثال: "صُنْ قَلبَكَ أكثَرَ من كُلّ ما تَحفَظ، فإنّ مِنه تنبَثِقُ الحَياة. إنْفِ عنكَ خِداعَ الفَم" (4، 23– 24). فالتّظاهر والرّياء والخداع أمور تسيء إلى القلب وتفسده. بالرّغم من كلّ المحاولات للتّظاهر أو التّعبير عن شيء ليس فينا، كلّ شيء يُقرّر في القلب: هناك ليس المهمّ ما يظهر في الخارج أو ما يَخفَى، بل حقيقة ما نحن عليه. وهذا هو أساس كل خِطّة متينة لحياتنا، لأنّه لا يمكن بناء أيّ شيء صالح بدون القلب. المظاهر والأكاذيب لا تقدِّم إلاّ الفراغ.

7. على سبيل الاستعارة، اسمحوا لي أن أذكر شيئًا سبق أن قلته في مناسبة أخرى: "في مناسبة المرافع (الكرنفال)، لمـّا كنّا أطفالًا، كانت الجدّة تصنع لنا حلويات، وكانت العجينة التي صنعتها رقيقة جدًّا. ولمـّا كانت تضعها في الزّيت كانت تنتفخ. لكن العجينة التي نأكلها كانت فارغة. وكانت هذه الحلوى تسمّى باللغة الدارجة "الكَذِب" (bugie). وكانت الجدّة تشرح لنا ذلك: هذه الحلوى تسمّى "الكَذِب"، لأنّها تظهر كبيرة، لكن لا شيء فيها، لا حقيقة ولا جوهر" [5].

8. بدل البحث عن الرّضا السّطحيّ، وتمثيل دور أمام الآخرين، من الأفضل أن نطرح الأسئلة المهمّة: من أنا حقًّا، ما الذي أبحث عنه، أيّ معنى أريد لحياتي، وخياراتي أو أعمالي، لماذا ولأيّ هدف أنا في هذا العالم، كيف سأقيّم وجودي عندما ينتهي، ما المعنى الذي أريد أن يكون لكلّ ما أختبره، ماذا أريد أن أكون أمام الآخرين، ومَن أنا أمام الله؟ هذه الأسئلة تقودني إلى قلبي.

العودة إلى القلب

9. في هذا العالم المائع لا بدّ من أن نتكلّم مرّة أخرى على القلب، وهو المكان حيث كلّ إنسان، من كلّ نوع وحالة، يلخِّص ويكَوّن ذاته، هنا حيث الكائن الواقعيّ يجد مصدر وجذور كلّ القوّة، والمعتقدات، والأهواء، والخيارات. نحن نتحرّك في مجتمع من المستهلكين بالجملة الذين يعيشون يومًا بعد يوم، مقيّدِين بإيقاعات وضوضاء التّكنولوجيا، دون الكثير من الصّبر على العمليّات التي تتطلّبُها الحياة الدّاخليّة. في مجتمع اليوم، يوشك الإنسان "أن يفقد المركز، مركز نفسه" [6]. "في الواقع، الإنسان المعاصر يجد نفسه كثيرًا مضطربًا، ومنقسمًا، ويكاد يخلو من مبدأ داخليّ يصنع الوَحدة والانسجام في كيانه وأعماله. وللأسف، يزداد ذلك سوءًا مع أنماط السّلوك المنتشرة، سواء بصيغتها العقلانيّة التّكنولوجيّة، أو، عكس ذلك، بصيغتها الغريزيّة" [7]. القلب مفقود.

10. الآن، مشكلة المجتمع المائع هي مشكلة حاضرة واقعيّة، لكن عدم تقدير قيمة المركز الحميم للإنسان، أي القلب، يأتي من أبعد: نجده من قبل في العقلانيّة اليونانيّة ما قبل المسيحيّة، وفي المثاليّة في ما بعد المسيحيّة وفي الماديّة بأشكالها المختلفة. لم يكن للقلب مساحة كبيرة في الأنثروبولوجيا. والفكر الفلسفيّ المنتشر يرى أنّه فكرة غريبة. ففضّلوا مفاهيم أخرى عليه مثل العقل أو الإرادة أو الحرّيّة. وبقي مفهومًا مبهمًا، ولم يُعطَ مكانًا محدّدًا في حياة الإنسان، ربّما لأنّه لم يكن من السّهل ترتيبه بين الأفكار "الواضحة والمتميّزة" أو بسبب صعوبة معرفة الذّات: يبدو أنّ

11. إن لم نجعل قيمة للقلب، فلا قيمة للكلام على القلب، ولا لعمل يصدر عن القلب، ولا لتنضيج القلب أو العناية به. عندما لا نقدِّر خصوصيّات القلب، الإجابات التي لا يستطيع العقل وحده أن يقدِّمها تفقد معناها، ويفقد اللقاء مع الآخرين قيمته، ويُفقَد الشِّعر. ونفقد التّاريخ وقصصنا، لأنّ المغامرة الشّخصيّة الحقيقيّة هي التي تُبنى بالقلب. وفي النّهاية، هو الأمر الوحيد المـُهمّ.

12. يجب أن نؤكِّد أنّ لنا قلبًا، وأنّ قلبنا يعيش مع قلوب أخرى تساعده على أن يكون "أنت". وبما أنّنا لا نستطيع الإسهاب في هذا الموضوع، نكتفي بالإشارة إلى شخصيّة في رواية، هي ستافروجين (Stavròghin) لدوستويفسكي. [8] يقول رومانو جواردیني (Romano Guardini) إنّه تجسيد للشّرّ، لأنّ صفته الرّئيسيّة هي أنّه ليس له قلب: "ستافروجين (Stavròghin) لا قلب له، ولهذا روحه باردة وفارغة، وجسده مسمّمٌ بكسل وشهوة حيوانيّة. لذلك هو لا يستطيع أن يلتقي مع أحد في الصّميم، ولا أحد يستطيع أن يلتقي معه حقًّا. لأنّ القلب وحده هو مكان اللقاء الصّميم، ويخلق الألفة الحقيقيّة بين كائنَين. القلب وحده يعرف كيف يرحِّب ويعطي وطنًا. العمل في الصّميم هو عمل ومجال القلب. لكن ستافروجين بعيد [...] بما لا حدّ له، حتّى عن نفسه، لأنّ الإنسان لا يمكن أن يكون قريبًا من نفسه إلاّ بالقلب، لا بالعقل. ليس في قدرة الإنسان أن يدخل إلى داخل نفسه بقوّة العقل. فإذا كان القلب بلا حياة، بقي الإنسان غريبًا عن نفسه" [9].

13. نحتاج إلى وضع جميع الأعمال تحت "سيطرة وإدارة" القلب، من الضّروري أن تهدأ العدوانيّة وكلّ الرّغبات المسيطرة، في الخير الأكبر الذي يقدِّمه القلب، وفي القوّة التي يمتلكها على الشّرّور. من الضّروري أن يكون العقل والإرادة في خدمة القلب، فيشعران ويتذوّقان الحقائق بدلًا من الرّغبة في السّيطرة عليها كما يفعل العِلم عادة. من الضّروري أن تطلب الإرادة الخير الأكبر الذي يعرفه القلب. بل حتّى الخيال والمشاعر يجب أن تديرها وتوجِّهها خفقات القلب.

14. وفي خلاصة الكلام، يمكن القول: أنا قلبي، لأنّه هو الذي يميّزني، ويصوغني في هويّتي الرّوحيّة، ويجعلني في تواصل مع الآخرين. يبيّن نظام الخوارزميّات العاملة في العالم الرّقمي أنّ أفكارنا وقرارات إرادتنا نمطيّة تسير بموجب نمط محدّد، أكثر ممـّا كنّا نعتقد. يمكن التّنبّؤ بها بسهولة والتّلاعب بها. ليس كذلك القلب.

15. القلب كلمة مهمّة للفلسفة واللاهوت اللذين يسعيان إلى تحقيق توليفة متكاملة. في الواقع، كلمة "القلب" لا يمكن تفسيرها بشكل شامل في عِلم الأحياء، أو في عِلم النّفس أو الأنثروبولوجيا أو أيّ عِلم. وهي إحدى تلك الكلمات الأصليّة "التي تشير إلى حقيقة الإنسان ككلّ كشخص من جسد وروح" [10]. وهكذا ليس عالِمُ الأحياء واقعيًّا عندما يتكلّم على القلب، لأنّه لا يرى سوى جزء منه، والكلّ ليس أقلّ واقعيّة، بل هو أكثر ممّا يتكلّم عليه. ولا حتّى الكلام التّجريدي يمكن أن يكون له المعنى نفسه مثل الكلام على ما هو ملموس فيه، ولا على كماله الواحد في الوقت نفسه. إن كان "القلب" يقودنا إلى المركز الحميم في شخصنا، فهو الذي يسمح لنا أيضًا بأن نعرف أنفسنا في كمال ذاتنا، وليس فقط في بعض الجوانب المنفصلة.

16. ومن جهة أخرى، فإنّ قوّة القلب الفريدة هذه تساعدنا على أن نفهم لماذا يقال إنّه عندما تدرك الواقع بقلبك، يمكنك أن تعرفه بصورة أفضل وأكمل. وهذا يقودنا حتمًا إلى الحبّ، إذ إنّ القلب قادر على الحبّ، لأنّ "الحبّ هو أقوى العوامل في صميم الواقع" [11]. بحسب هايدجر (Heidegger)، وبحسب تفسير أحد المفكِّرين المعاصرين، لا تبدأ الفلسفة بفكرة مجرّدة، أو بشيء أكيد، بل تبدأ بشكٍّ يحرّك الفكر: "يجب أن يُحرّك قبل أن يعمل بمفاهيم أو في أثناء عمله فيها. لا يبدأ الفكر بالعمل من دون انفعال عميق يحرّكه. أوّل صورة في الذّهن قد يكون القشعريرة. أوّل شيء يبعث على الفكر والسّؤال هو انفعال شديد. تحدث الفلسفة دائمًا في حالة ذهنيّة أساسيّة" [12]. وهنا يظهر القلب، الذي "يستضيف الحالات الذّهنيّة، ويعمل بمثابة "الحارس على الذّهن". و"القلب" يصغي بطريقة غير مجازيّة إلى "الصّوت الصّامت" للكائن، ويسمح لنفسه بأن يُنظّم ويُحدّد به" [13].

القلب الذي يوحِّد ما تكسّر

17. وفي الوقت نفسه، يجعل القلب كلّ رابط حقيقيّ ممكنًا، لأنّ العلاقة التي لا تُبنى مع القلب لا تستطيع التّغلّب على

18. هكذا نرى كيف يوجد في قلب كلّ إنسان هذا الارتباط المتناقض بين احترام الذّات والانفتاح على الآخرين، بين اللقاء الشّخصيّ جدًّا مع الذّات وعطاء الذّات للآخرين. لن تكون أنت ذاتك إلّا عندما تكتسب القدرة على أن تعترف بالآخر، ويتِمّ اللقاء مع الآخر القادر على معرفة وقبول هويّتك.

19. القلب قادر أيضًا على توحيد وتنسيق التّاريخ الشّخصيّ للإنسان، والذي يبدو مجزّأً إلى ألف قطعة وقطعة، ولكن حيث يمكن لكلّ شيء أن يكون له معنى. وهذا ما يعبّر عنه الإنجيل في نظرة مريم العذراء التي نظرت بقلبها. استطاعت أن تحاور مع الخبرات التي عاشتها، فتتأمّل فيها في قلبها، وتصبر وتتمهّل: وتجعل كلّ شيء رمزًا تحفظه في داخلها لتذكره. في الإنجيل، أفضل تعبير عمّا يفكّر فيه القلب ورد في مقطعَين في إنجيل القدّيس لوقا، حيث يقول لنا إنّ مريم "كانت تَحفَظُ (syneterei) جَميعَ هذهِ الأُمور، وتَتَأمّلُها (symballousa) في قلبها" (لوقا 2، 19؛ راجع 2، 51). الفعل "symballein" (منه يأتي "الرّمز") يعني التّأمّل والجمع بين شيئَين في الذّهن، والتّشاور والتّأمّل والحوار مع الذّات. في لوقا (2، 51) كلمة "dieterei" تعني "كانت تحفظ بعناية"، وما كانت تحفظه لم يكن فقط "المشهد" الذي رأته، ولكن أيضًا ما لم تكن تفهمه بعد، ومع ذلك ظلّ حاضرًا وحيًّا فيها، فيما كانت تنتظر أن تجمع كلّ شيء معًا في قلبها.

20. في عصر الذّكاء الاصطناعيّ، لا نقدر أن ننسى أنّ الشِّعر والحبّ ضروريّان لخلاص الإنسان. هناك أمور لا تقدر أيّة خوارزميّة على فهمها، مثلًا، لحظة الطّفولة التي نتذكّرها بحنان والتي تستمرّ في الحدوث في كلّ ركن من أركان الكوكب، حتّى مع مرور السّنين. أفكّر في استخدام الشّوكة لضبط أطراف تلك الأطعمة المصنوعة محليًّا التي كانت تصنعها أمّهاتنا أو جدّاتنا. إنّها تلك اللحظة من التّدريب المهنيّ في مجال الطّهي، في منتصف الطّريق بين اللعب والبلوغ، حيث نتحمّل مسؤوليّة العمل لمساعدة الآخرين. مثل الشّوكة، يمكنني أن أذكر آلاف الأمثال لأمور صغيرة تملأ السّيرة الذّاتيّة لكلّ شخص: إحداث ابتسامة بعد نكتة، ورسم رسمة في ضوء النّافذة، ولعب أوّل مباراة كرة قدم بكرة من خِرَق، والاحتفاظ ببعض الديدان الصّغيرة في علبة للأحذية، أو تجفيف زهرة بين صفحات كتاب، أو الاعتناء بطائر سقط من العشّ، أو التّفكير في تمنّيات عند قطف زهرة الأقحوان. كلّ هذه التّفاصيل الصّغيرة، العاديّة وغير العاديّة، لا يمكن أن تكون أبدًا ضمن الخوارزميّات. لأنّ الشّوكة، والنّكتة، والنّافذة، والكرة، وصندوق الأحذية، والكتاب، والعصفور، والزّهرة... كلّها تعتمد على الحنان الذي يحفظها في ذكريات القلب.

21. النّواة في كلّ إنسان، والمركز الحميم فيه، ليس النّفس، بل هو الشّخص بأكمله في هويّته الواحدة، نفسًا وجسدًا. كلّ شيء يتوحّد في القلب الذي يمكن أن يكون مقرّ الحبّ بكلّ مكوّناته الرّوحيّة والنّفسيّة وحتّى الجسديّة. بالإيجاز، إذا ساد الحبّ، بلغ الشّخص هويّته بطريقة كاملة ومضيئة، لأنّ كلّ إنسان خُلِقَ قبل كلّ شيء للحبّ، خُلِقَ في أعمق كيانه لِيُحِبّ وليكون محبوبًا.

22. ولهذا السّبب، عندما نشهد حروبًا جديدة، بتواطؤ بلدان أخرى أو تسامحها أو لامبالاتها، أو مع مجرّد صراعات على السّلطة حول مصالح جزئيّة، يمكننا أن نقول إنّ المجتمع العالميّ يفقد قلبه. يكفي أن تنظر وتستمع إلى النّساء المسنّات - من مختلف أطراف النّزاع - ضحايا هذه الصّراعات المدمِّرة. ومن المفجع أن نراهنّ يندِبْنَ أحفادهُنّ المقتولين، أو يتمنّوْن الموت لأنّهُنّ فقَدْن البيت الذي عِشْنَ فيه دائمًا. هُنّ اللواتي كُنّ في أغلب الأحيان نماذج للقوّة والصّمود في حياتهنّ الصّعبة والمضحِّية، الآن بعد أن وصَلْنَ إلى المرحلة الأخيرة من حياتهنّ، لا يَلقَونَ السّلام الذي يستحقّونه، بل يَلقَوْنَ الألم والخوف والسّخط. واللجوء إلى لوم الآخرين لا يحلّ هذه المأساة المشينة. إنّ رؤية الجدّات يبكين، وألّا يكون ذلك غير محتمل وغير مقبول، هذه علامة على عالم بلا قلب.

23. عندما يفكّر كلّ واحد منّا، ويبحث ويتأمّل في كيانه وهويّته، أو يحلّل الأسئلة الكبرى، وعندما يفكّر في معنى حياته وحتّى إن كان يبحث عن الله، حتّى لو أنّه شعر وكأنّه رأى شيئًا من الحقيقة، لن يصل إلى الغاية إلّا في الحُبّ. في الحبّ يشعر الإنسان أنّه يعرف لأيّ سبَب ومن أجل أيّ هدف يعيش. إذّاك يتّحد كلّ شيء معًا في حالة من الارتباط والانسجام. لذلك، عندما يواجه المرء سرّ ذاته، ربما يكون السّؤال الأكثر حسمًا الذي يمكن للمرء أن يطرحه على نفسه هو: هل لدَيّ قلب؟

24. وهذا له عواقب على طرق الحياة الرّوحيّة. مثلًا، إنّ لاهوت الرّياضات الرّوحيّة للقدّيس أغناطيوس دي لويولا يعتمد على "الشّعور" (affectus) كمبدأ له. يُبنَى البعد الخطابيّ على إرادة أساسيّة (تعبِّر عن كلّ قوّة القلب) وهي سَنَدٌ لمهمّة إعادة تنظيم الحياة. إنّ قواعد وترتيبات المكان التي يقدِّمها أغناطيوس تعمل بناء على "أساس" مختلف عنها، هو المجهول في القلب. ويوضِّح ميشيل دي سيرتو (Michel de Certeau) أنّ "الحركات" التي يتحدّث عنها القدّيس أغناطيوس هي انعكاسات لإرادة الله ولإرادة القلب التي تظلّ مختلفة عن النّظام المذكور. يبدأ شيء غير متوقّع يتكلّم في قلب الإنسان، شيء ينشأ من المجهول، ويحرّك مساحة ما هو معروف ويُدخِل فيه صراعًا. هذا أصل "ترتيب جديد للحياة" في القلب. وليس هذا كلامًا عقلانيًّا يجب أن يتحوّل إلى عمل، ثمّ ينتقل إلى الحياة، بحيث يكون الشّعور والعمل مجرّد نتائج - مترابطة – لعِلم أكيد. [16]

25. حيث يتوقّف الفيلسوف بفكره، القلب المؤمن يُحِبّ ويسجد ويستغفر ويقدِّم نفسه للخدمة في المكان الذي يعطيه إيّاه الله ليختار أن يتبعه. إذّاك يفهم أنّه هو المخاطَب "أنت" أمام الله، وأنّه يمكن أن يكون "هو"، والله هو "أنت" بالنّسبة له. والواقع هو أنّ الرّبّ وحده هو الذي يعرض علينا أن يعاملنا كمخاطَب، أنت، دائمًا وإلى الأبد. وقبول صداقته هي مسألة قلب، وتكوّن شخصنا بكلّ معنى الكلمة.

26. كان القدّيس بونافنتورا يقول إنّه في النّهاية يجب البحث "عن النّار لا عن النّور" [17]. وكان يعلِّم ويقول إنّ "الإيمان هو في العقل لإثارة الشّعور. مثلًا: المعرفة أنّ المسيح مات من أجلنا لا تبقى معرفة، بل تصير بالضّرورة "شعورًا"، محبّة" [18]. ومن هذا المنظور، اختار القدّيس يوحنّا هنري نيومان شعارًا له عبارة: "القلب يكلِّم القلب" (Cor ad cor loquitur)، لأنّ الرّبّ، بعيدًا عن أيّ جدليّة، يخلِّصنا بالتّحدّث إلى قلبنا من قلبه الأقدس. هذا المنطق نفسه كان يعني بالنّسبة له، وهو مفكّر كبير، أنّ مكان اللقاء الأعمق مع نفسه ومع الله لم يكن القراءة أو التّأمّل، بل حوار الصّلاة، من القلب إلى القلب، مع المسيح الحيّ والحاضر. لذلك وجد نيومان في الإفخارستيّا قلب يسوع الحيّ القادر على أن يحرّر، ويعطي كلّ لحظة معناها، ويغرس السّلام الحقيقيّ في الإنسان: "يا قلب يسوع الأقدس والمحبوب، أنت مختبئ في القربان المقدّس، وقلبك يخفق دائمًا هنا من أجلنا. [...] إنّي أسجد لك بكلّ حبّي وإجلالي، وبعاطفتي الحارّة، وبكلّ إرادتي بكلّ ما فيّ من حزم وخضوع. يا إلهي، عندما تأتي إليّ في المناولة المقدّسة وتجعل سكناك فيّ، اجعل قلبي يخفق بانسجام مع قلبك! طهّره من كلّ ما هو كبرياء وشهوة، ومن كلّ ما هو قسوة وتحجّر، ومن كلّ فساد، ومخالفة، ومن كلّ فتور. املأه بك بكلِّيّته، حتّى لا تقدر على تعكيره لا الأحداث اليوميّة ولا ظروف الحياة، فيجد السّلام في محبّتك ومخافتك" [19].

27. أمام قلب يسوع الحيّ الحاضر، يفهم عقلنا، المستنير بالرّوح، كلام يسوع، فتبدأ الإرادة بالتّحرّك لتحويل الكلام إلى عمل. ولكن هذا يمكن أن يظلّ شكلًا من أشكال الأخلاقيّات المكتفية بذاتها. الشّعور بالله والإحساس به وتكريمه هو أمر في القلب. القلب وحده هو القادر على وضع القوى والأهواء الأخرى وشخصنا كلّه في موقف التّبجيل والطّاعة المـُحِبّة للرّبّ.

يمكن للعالم أن يتغيّر انطلاقًا من القلب

28. انطلاقًا من القلب فقط، تقدر جماعاتنا أن توحِّد الأذهان والإرادات المختلفة وتهدئتها، وسيُرشدنا الرّوح القدس مثل شبكة من الإخوة، لأنّ التّهدئة هي أيضًا مهمّة القلب. قلب المسيح هو نشوة، إنّه طريق للخروج، إنّه عطيّة، إنّه لقاء. فيه نصبح قادرين على التّواصل بطريقة سليمة وموفّقة، وبناء ملكوت المحبّة والعدل في هذا العالم. قلبُنا المتّحد بقلب المسيح قادر على هذه المعجزة الاجتماعيّة.

29. أن نأخذ القلب على محمل الجدّ، له عواقب اجتماعيّة. وكما يعلِّم المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، "يجب علينا جميعًا أن نغيّرَ قلوبنا، وأن نثبّتَ عيوننا على العالم أجمع وعلى كلّ الأشياء التي يمكن أن نقوم بها معًا لتقدّم الجنس البشريّ" [20]. لأنّ "أنواع الخلَل التي تُتعِب العالم الحديث مرتبطة بالخلل الأساسيّ المتأصّل في قلب الإنسان" [21]. وأمام مآسي العالم، يدعونا المجمع إلى العودة إلى القلب، موضّحًا أنّ الإنسان "والحياة الدّاخليّة فيه هو أسمى من الكون

30. هذا لا يعني الاعتماد كثيرًا على أنفسنا. لنكن حَذِرين: لندركْ أنّ قلبنا لا يكفي نفسَه، لأنّه ضعيف ومجروح. له كرامة أنطولوجيّة، لأنّه موجود، ولكن في الوقت نفسه، يجب أن يسعى إلى حياة فيها مزيد من الكرامة. [23] ويقول المجمع الفاتيكانيّ الثّاني أيضًا إنّ "خميرة الإنجيل قد أيقظت وما زالت توقظ في قلب الإنسان حاجة إلى الكرامة لا يمكن إلغاؤها" [24]. ولكن لكي نحيا وفقًا لهذه الكرامة، لا يكفي أن نعرف الإنجيل ولا أن نعمل بصورة آليّة بما يأمرنا به. نحن بحاجة إلى مساعدة الحبّ الإلهيّ. لنذهَبْ إلى قلب المسيح، مركز كيانه الذي هو أتون المحبّة الإلهيّة والإنسانيّة، وهو أعظم ملء يمكن للإنسان أن يبلغه. هناك، في هذا القلب، نعرفُ أخيرًا أنفسنا ونتعلّم كيف نحِبّ.

31. وأخيرًا، هذا القلب الأقدس هو المبدأ الموحِّد للواقع، لأنّ "المسيح هو قلب العالم، والفصح الذي هو موته وقيامته هو مركز التّاريخ، وهو تاريخ الخلاص" [25]. جميع المخلوقات "تتقدّم معنا ومن خلالنا نحو الهدف المشترك، وهو الله، في كمال فائق حيث المسيح القائم من بين الأموات يعانق كلّ شيء وينيره" [26]. أمام قلب المسيح، أطلب من الرّبّ أن يرأف مرّة أخرى بهذه الأرض الجريحة، التي أراد أن يسكنها مثل واحد منّا. ليسكُبَ كنوز نوره ومحبّته، لكي يستعيد عالمنا، الذي يعيش في الحروب والاختلالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة وموجة الاستهلاك والاستخدام اللاإنسانيّ للتّكنولوجيا، حتّى يستعيد ما هو أهمّ وضروريّ وهو القلب.

الفصل الثّاني

أعمال وكلمات محبّة

32. إنّ قلب المسيح، الذي يرمز إلى مركز شخصه ومنه تتدفّق محبّته لنا، هو النّواة الحيّة للبشارة الأولى. هو أصل إيماننا، وهو الينبوع الذي يُبقِي المعتقدات المسيحيّة حيّة.

أعمال تُظهر القلب

33. لم يُردْ المسيح أن يشرح لنا كثيرًا الطّريقة التي يحبّنا بها. لكنّه أظهر لنا ذلك بأعماله. إن نظرنا إليه يعمل، يمكننا أن نكتشف كيف يعامل كلّ واحد منّا، حتّى لو صعب علينا أن نراه. لنذهَبْ إذن ننظر إليه حيث يمكن لإيماننا أن يتعرّف عليه، أي في الإنجيل.

34. يقول الإنجيل إنّ يسوع "جاء إلى خاصّته" (راجع يوحنّا 1، 11). نحن خاصّته، لأنّه لا يعاملنا كغرباء. إنّه يعتبرنا ملكًا له، ويحافظ علينا بعناية ومودّة. إنّه يعاملنا مثل خاصّته، وهذا لا يعني أنّنا عبيد له، هو نفسه ينفي ذلك: "أنا لا أدعوكم عبيدًا بعدَ اليَوم" (راجع يوحنّا 15، 15). ما يقترحه هو علاقة متبادلة مثل الأصدقاء. جاء، وتخطّى كلّ المسافات، وأصبح قريبًا منّا مثل أبسط الأشياء وأكثرها في حياتنا اليوميّة. في الواقع، له اسم آخر وهو "عمّانوئيل" ومعناه "الله معنا"، الله القريب من حياتنا، الذي يعيش بيننا. تجسّد ابن الله، "وتَجَرّدَ مِن ذَاتِهِ مُتّخِذًا صُورَةَ العَبد" (فيلبي 2، 7).

35. وهذا واضح عندما نراه يعمل. إنّه يبحث دائمًا، إنّه قريب منّا، ومستعدّ دائمًا للقاء. نرى ذلك عندما توقّف للتحدّث مع المرأة السّامريّة عند البئر حيث جاءت تستقي (راجع يوحنّا 4، 5-7). نرى ذلك عندما التقى، في ظلام الليل، بنيقوديمُس، الذي كان يخاف أن يُرى مع يسوع (راجع يوحنّا 3، 1-2). ونُدهَشُ عندما نراه يترك امرأة زانية تغسل قدمَيه بلا خجل (راجع لوقا 7، 36-50)، وعندما يقول للمرأة الزّانية، ناظرًا إليها عيناه في عينيها: "أنا لا أحكُمُ علَيكِ" (يوحنّا 8، 11)، أو عندما يواجه لامبالاة تلاميذه ويلتفت إلى الأعمى على الطّريق ويقول له بمودّة: "ماذا تُريدُ أن أصنَعَ لَكَ؟" (مرقس 10، 51). المسيح يبيّن لنا أنّ الله قريب ورحيم وحنّان.

36. ولمّا كان يشفي مريضًا، كان يفضّل أن يقترب منه: "فمَدّ يسوعُ يَدَه فَلَمَسَه" (متّى 8، 3). "ولَمَسَ يَدَه" (متّى 8، 15). "ولَمَسَ عينَيه" (متّى 9، 29). ووقف مرّة حتّى ليشفي مريض بتفاله (راجع مرقس 7، 33)، كان يتصرّفْ مثل الأمّ، حتّى لا يشعروا بأنّه غريب عن حياتهم. لأنّ "الرّبّ يسوع يعلَم عِلم الملاطفة الجميل. حنان الله لا يحِبّنا بالكلام. الله يقترب منّا، ويقربه منّا، يمنحنا محبّته بكلّ حنان ممكن" [27].

37. بما أنّه يصعب علينا أن نثق، لأنّنا جُرحْنا مرارًا بالأكاذيب الكثيرة والاعتداءات وخيبات الأمل، هو يهمس في أذننا: "ثِقْ، يا بُنَيّ" (متّى 9، 2)، "ثقِي، يا ابنَتِي" (متّى 9، 22). يجب التّغلّب على الخوف ويجب أن نفهم أنْ ليس لنا ما نخسره معه. لبطرس الذي كان فريسة للشّكّ، "مَدّ يسوعُ يَدَه وأمسكَهُ وهُو يَقولُ له: [...] لِماذا شَكَكْتَ؟" (متّى 14، 31). لا تخَفْ. دَعْهُ يقترب منك، وأجلسه بجانبك. يمكن أن نشكّ في كثير من النّاس، وأمّا فيه فلا يمكن. ولا تتوقّفْ بسبب خطاياك. تذكّرْ أنّ خطأةً كثيرين "اتّكأوا معه" على المائدة للطّعام (راجع متّى 9، 10) ولم يتشكّكْ يسوع من أحد منهم. أهل النّخبة من رجال الدّين تشكّكوا منه، وقالوا إنّه "أكولٌ شِرّيبٌ لِلْخَمْر صَدِيقٌ للجُباةِ والخاطِئين" (متّى 11، 19). ولمـّا انتقد الفرّيسيّون قربه هذا من الأشخاص ذوي المكانة المتدنّية أو الخطأة، قال لهم يسوع: "أُريدُ الرّحمَةَ لا الذّبيحَة" (متّى 9، 13).

38. هذا يسوع نفسه ينتظرك اليوم حتّى تتيح له بأن ينير حياتك، وينهضك، ويملأك بقوّته. وفي الواقع، قبل أن يموت، قال لتلاميذه: "لن أدَعَكم يَتامى، فإنّي أرجعُ إِلَيكم. بَعدَ قَليلٍ لَن يَراني العالَم. أمّا أنتُم فستَرونَني" (يوحنّا 14، 18–19). إنّه يجد دائمًا طريقة لإظهار نفسه في حياتك حتّى تتمكّن من الالتقاء به.

نظرة يسوع

39. روى لنا الإنجيل أنّ رجلًا غنيًّا جاء إليه، يريد أن يحيا حياة مثاليّة، لكنّه لا يقدر أن يغيّر حياته. "فحَدّقَ إِليهِ يسوع" (مرقس 10، 21). هل يمكنك أن تتصوّر تلك اللحظة، ذلك اللقاء بين عينَيْ هذا الرّجل ونظرة يسوع؟ إن دعاك، وإن كلّفك برسالة، فإنّه ينظر إليك أوّلًا، ويدخل في أعماقك، ويدرك ويعرف كلّ ما فيك، ويثبّت نظره فيك: "كانَ يسوعُ سائرًا على شاطِئِ بَحر الجَليل، فرأى أَخَوَيْن [...] ثُمّ مَضى في طَريقِه فرأى أَخَوَيْنِ آخَرَيْن" (متّى 4، 18. 21).

40. تُظهر لنا نصوص كثيرة في الأناجيل أنّ يسوع كان متنبّهًا للأشخاص، ولهمومهم ومعاناتهم. مثلًا: "عندما رأى الجُموعَ أخذَته الشّفَقَةُ علَيهم، لأنّهم كانوا تَعِبينَ رازحين" (متّى 9، 36). عندما يبدو لنا أنّ الجميع يتجاهلوننا، وأن لا أحد مهتَمٌ بما يحدث لنا، وأنّنا لسنا مهمّين لأيّ أحد، هو ينتبه إلينا. وهذا ما عناه بكلامه لتتائيل الذي كان واقفًا وحده ومتوحّدًا مع ذاته: "قبلَ أن يَدعوكَ فيلِبُّس وأنتَ تَحتَ التّينَة، رأيتُك" (يوحنّا 1، 48).

41. لأنّه منتبه إلينا، فهو قادر على أن يعرف كلّ نيّة صالحة فيك، وأصغر أعمالك الصّالحة التي تقوم بها. يقول لنا الإنجيل إنّه "رأى أرمَلَةً مِسكينَةً تُلْقي فَلسَين مِن نُحَاس [في خزانة الهيكل]" (لوقا 21، 2) ولفت انتباه رسله إليها على الفور. يهتَمّ يسوع بنا وينتبه إلينا ويُعجَبَ بالأشياء الصّالحة التي يراها فينا. عندما سأله قائد المائة بكلّ ثقة، قال الإنجيل: "لَمّا سَمِعَ يسوعُ كَلامَه، أُعْجِبَ بِه" (متّى 8، 10). كم هو جميل أن نعرف أنّه إذا كان الآخرون لا يدركون نوايانا الحسنة أو الأشياء الإيجابيّة التي نقوم بها، فإنّ يسوع لا يجهلها، بل يُعجب بها.

42. كإنسان، تعلّم هذا من مريم أمّه. فهي التي كانت تتأمّل في كلّ شيء باهتمام و"تحفظ كلّ شيء في قلبها" (راجع لوقا 2، 19. 51). مريم أمّه علّمَتْه منذ الصّغر، مع القدّيس يوسف، أن ينتبه إلى كلّ شيء.

الكلمات

43. كلمته، في الكتاب المقدّس، دائمًا حيّة ولها قيمتها وتنطبق على الحالة التي نحن فيها، ومع ذلك فإنّ يسوع يكلّمنا أحيانًا في داخلنا ويدعونا ليأخذنا إلى المكان الأفضل. والمكان الأفضل هو قلبه. وهو يدعونا ليدخلنا إلى حيث يمكننا أن نجد القوّة والسّلام: "تَعالَوا إليّ جَميعًا أيُّها المُرهَقونَ المـُثقَلون، وأنا أريحُكم" (متّى 11، 28). ولهذا قال لتلاميذه: "اثبُتوا فيّ" (يوحنّا 15، 4).

44. يدُلّ كلام يسوع على أنّ قداسته لم تُلغِ عواطفه. فقد أظهر في بعض المناسبات حبًّا شديدًا لنا، وهو يتألّم من أجلنا، وينفعل، ويعاتب، حتّى البكاء. ومن الواضح أنّه لم يكن غير مبالٍ بهموم النّاس وقلقهم، مثل التّعب أو الجوع: "أَشفِقُ على هذا الجَمْع، [...] لَيسَ عِندَهم ما يَأكُلون. وإن صَرَفتُهم إلى بيوتِهم صائمين، خارَت قُواهم في الطّريق، ومِنهُم مَن جاءَ مِن مَكانٍ بَعيد" (مرقس 8، 2-3).

45. لا يُخفِي الإنجيل مشاعر يسوع تجاه أورشليم، المدينة التي أحبّها: "ولمــّا اقتَربَ فَرأى المــَدينة بكى علَيها" (لوقا 19، 41) وأعرب عن حبّه الكبير لها بقوله: "لَيتَكِ عَرَفتِ أَنتِ أَيضًا في هذا اليَومِ طَريقَ السَّلام" (19، 42). ومع أنّ الإنجيليّين يظهرونه أحيانًا قويًّا أو مجيدًا، إلاّ أنّهم يبيّنون أيضًا مشاعره عندما يواجه موت أصدقائه وألمهم. وقبل أن يقول لنا الإنجيل إنّ "يسوع دَمعَت عَيْناه" (راجع يوحنّا 11، 35) عند قبر لعازر، توقّف الإنجيليّ ليقول لنا إنّ "يسوع كان يُحِبُّ مَرْتا وأُختَها ولَعازَر" (يوحنّا 11، 5)، وإنّه "لَمّا رآها تَبكي ويَبكي معَها اليَهودُ الّذينَ رافَقوها، جاشَ صَدرُه وَاضطَرَبَت نَفْسُه" (يوحنّا 11، 33). ولا تدع الرّواية مجالًا للشّكّ في أنّه كان بكاء صادقًا، ناجمًا عن ألم عميق فيه. وأخيرًا، لم يُخفِ يسوع ألمه الشّديد أمام موته العنيف على أيدي الذين أحبّهم هو كثيرًا: "وجعَلَ يَشعُرُ بالرَّهبَةِ والكآبة" (مرقس 14، 33)، إلى أن قال: "نَفسِي حَزينَةٌ حَتّى المَوْت" (مرقس 14، 34). وظهر هذا الاضطراب الدّاخليّ الشّديد بأقصى قوّة في صرخته على الصّليب: "إلهي إلهي لماذا تركتَني" (مرقس 15، 34).

46. كلّ هذا، في نظرة سطحيّة، قد يبدو وكأنّه فقط رومانسيّة دينيّة. ومع ذلك، فهو في غاية الجدّيّة والحسم. وأقصى تعبير لهذا الواقع هو المسيح المـُسمّر على الصّليب. هذه هي كلمة الحبّ البليغة. ليس شيئًا مخفيًّا، ليس محض عاطفة، وليس هروبًا روحيًّا. إنّه الحُبّ. لهذا، لمّا كان القدّيس بولس يبحث عن الكلمات المناسبة لشرح علاقته بالمسيح، قال: "أَحَبَّنِي وَجَادَ بنَفسِهِ مِن أجلِي" (غلاطية 2، 20). هذه كانت كبرى قناعاته: عرف أنّه محبوب. موت المسيح على الصّليب ملأ كيانه وأسره، وما كان يعطي كلّ ذلك معنى هو قوله: "أَحَبَّنِي". كثير من النّاس يبحثون في معتقدات دينيّة مختلفة بحثًا عن الخلاص، أو الطّمأنينة أو الأمان الرّوحي، أمّا بولس، فبعد أن ملأه الرّوح القدس، عرف أن ينظر إلى ما هو أبعد من كلّ ذلك، وأن يندهش أمام أعظم وأهمّ شيء: "أَحَبَّنِي".

47. بعد أن تأمّلنا في المسيح، ورأينا كيف يمكننا أن نعرف قلبه في أعماله وأقواله، لنَرَ الآن كيف تتأمّل الكنيسة في سِرّ قلب يسوع الأقدس.

ثلاّثلا لصفلا

اًريثك ّبحأ يذلا بلقلا وه اذه

48. إكرام قلب المسيح ليس عبادةً لجزء منفصل من شخصه. ما نتأمّل فيه ونسجد له هو يسوع المسيح بأكمله، هو ابن الله الذي صار إنسانًا، والذي نمثّله في صورة نُظهر فيها صورة القلب. في هذه الحالة، القلب الجسديّ هو صورة أو علامة مميّزة لما هو الجوهر، والأكثر حميميّة، في الابن المتجسّد وهو محبّته الإلهيّة والإنسانيّة، و"الدّليل الطّبيعي، أو الرّمز لمحبّته العظيمة" [28]، أكثر من أيّ جزء آخر في جسده.

السّجود للمسيح

49. من الضّروري التّأكيد على أنّ علاقتنا التي هي محبّة وسجود لشخص المسيح، إنّما هي انجذاب إلى المحبّة التي تمثّلها صورة قلبه. نحن نكرّم تلك الصّورة التي تمثّله، لكن السّجود هو للمسيح الحيّ، في لاهوته وفي كلّ إنسانيّته، لكي تغمرنا محبّته البشريّة والإلهيّة.

50. أيًّا كانت الصّورة المستخدمة، من المؤكّد أنّ قلب المسيح الحيّ، وليس الصّورة، هو موضوع سجودنا، لأنّه جزء من جسده الأقدس والقائم من الموت، وغير المنفصل عن ابن الله الذي اتّخذ هذا الجسد إلى الأبد. نحن نسجد له لأنّه "قلب أقنوم الكلمة، المتّحد به بصورة لا تنفصل" [29]. نحن لا نسجد له بصورة منفردة، بل لأنّ القلب هو الابن المتجسّد نفسه، الذي يحيا ويُحِبّ ويَقبَلُ حبّنا. لذلك، فإنّ كلّ عمل محبّة وكلّ سجود لقلبه الأقدس، إنّما هو موجّه "حقًّا إلى المسيح نفسه" [30]، وهذا القلب يشير إليه تلقائيًّا وهو "رمز وصورة معبّرة لمحبّة يسوع المسيح اللامتناهية" [31].

51. لهذا يجب ألا يفكّر أحد أنّ هذه العبادة يمكن أن تفصلنا أو تصرفنا عن يسوع المسيح وعن محبّته. بل إنّها توجّهنا إليه، وإليه وحده، بطريقة تلقائيّة ومباشرة، وهو يدعونا إلى صداقة غالية فيها حوار، ومودّة، وثقة وسجود. هذا المسيح ذو القلب المطعون والمتّقد هو نفسه الذي وُلِدَ في بيت لحم حُبًّا لنا، وتجوّل في الجليل يشفي ويلاطف ويشفق، هو

تكريم صورته

52. جدير بالذّكر أنّ صورة قلب المسيح، مع أنّها ليست هي موضوع السّجود بأيّ شكلٍ من الأشكال، إلاّ أنّها ليست صورة عاديّة من الصّور التي يمكن أن نختارها. ليست شيئًا اخترعه رسّام على لوحة الرّسم أو صمّمها فنّان، "إنّها ليست رمزًا خياليًّا، إنّها رمز حقيقيّ، تمثِّل الجوهر، والينبوع الذي تدفّق منه الخلاص لجميع البشريّة" [32].

53. إنّ الخبرة الإنسانيّة الشّاملة جعلت صورة قلب المسيح أمرًا فريدًا. في الواقع، مِمَا لا شكّ فيه، أصبح القلب، على مَرّ التّاريخ وفي أنحاء العالم كلّه، رمزًا للحميميّة الشّخصيّة، وأيضًا للمودّة والانفعالات، والقدرة على الحبّ. وبغضّ النّظر عن كلّ تفسير علميّ، إنّ وضع اليد على قلب صديق يعبّر عن مودّة خاصّة، وعندما تقع في الحبّ وتكون قريبًا من شخص تحبُّه، تتسارع خفقات القلب. وعندما تشعر بالهجر أو بالخداع من قبل شخص عزيز عليك، فإنّك تشعر بانقباض شديد في قلبك. لذلك، للتّعبير عن كلام صادق، صادر من صميم الشّخص، نقول: "أقول لك من قلبي". ولا يمكن للّغة الشّعريّة أن تتجاهل قوّة هذه الخبرة. ولذلك فمن المحتّم أن يكون للقلب عبر التّاريخ قُدرة رمزيّة فريدة، وليس الأمر فقط تقليداً.

54. نفهم إذًا أنّ الكنيسة اختارت صورة القلب لتمثِّل محبّة يسوع المسيح البشريّة والإلهيّة، وجوهر شخصه الأكثر حميميّة. وإذا كان رسم القلب يحيط به لهب نار رمزًا بليغًا يذكّرنا بمحبّة يسوع، فمن المناسب أن يكون هذا القلب جزءًا في صورة ليسوع المسيح. بهذه الطّريقة تزداد وضوحًا دعوته إلينا لتكون لنا معه علاقة شخصيّة للقاء والحوار. [33] صورة المسيح هذه التي نكرّمها، والتي يظهر فيها قلبه المـُحِبّ، فيها أيضًا نظرة تدعو إلى اللقاء والحوار والثّقة، وفيها يَدان قويّتان قادرتان على إسنادنا، وفيها فَمٌ يتحدّث إلينا بطريقة فريدة وشخصيّة جدًّا.

55. القلب له ميزة خاصّة، فهو ليس فقط عضوًا منفصلًا مستقِلًّا، بل هو المركز الموحِّد الحميم، والمعبِّر، في الوقت نفسه، عن كلّ الشّخص، وهذه مهمّة لا يقوم بها أيّ عضو من سائر أعضاء الجسد البشريّ. إذا كان هو المركز الحميم للشّخص كلّه، فهو جزء يمثِّل الكلّ. ويمكننا بسهولة تحريفه عن معناه إذا تأمّلنا فيه بصورة منفصلة عن شخصيّة المسيح الكاملة. صورة القلب يجب أن تضعنا في علاقة مع يسوع المسيح في كلّ شخصيّته، وفي مركزه الموحِّد. وهذا المركز الموحِّد، يجب أن يوجّهنا إلى التّأمّل في المسيح بكلّ جمال وغنى إنسانيّته وألوهيّته.

56. وهذا يذهب بنا إلى أبعد من جاذبيّة الصّور المختلفة التي رُسِمَتْ لقلب المسيح، لأنّنا، أمام صور المسيح "لا نطلب منها شيئًا، ولا نضع ثقتنا فيها، كما كان يعمل الوثنيّون قديمًا"، لكن "بالصّور التي نقبّلها ونكشف أمامها رؤوسنا ونسجد لها، نحن نسجد للمسيح الحيّ" [34].

57. علاوة على ذلك، قد تبدو بعض هذه الصّور غير جذّابة بالنّسبة لنا، وقد لا تدفعنا كثيرًا إلى المحبّة والصّلاة. هذا أمر ثانويّ، لأنّ الصّورة ليست سوى رَسمٍ محفِّزٍ، وكما يقول الشّرقيّون، ينبغي ألاّ نظلّ نشير بإصبعنا إلى القمر. بينما الإفخارستيّا هي حضورٌ حقيقيٌّ وهي موضوع سجودنا، الصّورة هي في هذه الحالة مجرّد صورة، ولو أنّها مباركة، وتدعونا إلى أن نتجاوزها وإلى أن نوجّه قلبنا إلى قلب المسيح الحيّ والاتّحاد به. الصّورة التي نكرّمها تدعونا، وتدلّنا، وتؤثّر فينا، حتّى نخصّص وقتًا للقاء مع المسيح والسّجود له، كما نتصوّره على أفضل وجه. هكذا، بالنّظر إلى الصّورة، نقف أمام المسيح، وأمامه "تعتكف المحبّة، وتتأمّل في السّرّ، وتتمتّع به في صمت" [35].

58. بعد أن قلنا هذا كلّه، يجب ألاّ ننسى أنّ صورة القلب تحدِّثنا عن الجسد البشريّ، وعن الأرض، ومن ثمّ فهي تُحَدِّثنا أيضًا عن الله الذي أراد أن يدخل في تاريخنا، ويصير جزءًا من تاريخنا، ويشاركنا رحلتنا الأرضيّة. عبادة تجريديّة لن تكون حتمًا أفضل وأكثر أمانة للإنجيل، لأنّ الله أراد أن يظهر لنا ويكون قريبًا منّا بهذه الطّريقة الحسّيّة والقريبة منّا.

الحبّ الحِسّي

59. ليس بالضّرورة أن يكون الحبّ والقلب متّحدَيْن، لأنّ الكراهية واللامبالاة والأنانيّة يمكن أن تسود في قلب الإنسان. لكنّنا لا نصل إلى إنسانيّتنا الكاملة إن لم نخرج من أنفسنا، ولا نصبح أنفسنا بصورة كاملة إن لم نحِبّ. لذلك، فإنّ المركز الحميميّ في شخصنا، المخلوق للحبّ، لن يحقّق خطّة الله إلاّ إذا أحَبّ. وهكذا فإنّ رمز القلب هو في

60. إنّ ابن الله الأزليّ، المتعالي بلا حدود، أراد أن يحِبّني بقلب إنسان. فصارت مشاعره الإنسانيّة السِرّ والعلامة للحبِّ اللامحدود والنّهائيّ. ولهذا فإنّ قلبه ليس رمزًا ماديًّا يعبِّر فقط عن واقع روحيّ أو منفصل عن المادّة. إنّ النّظرة الموجّهة إلى قلب الرّبّ تتأمّل في واقع جسديّ، جسد الإنسان، وهو يجعل من الممكن أن يكون في المسيح انفعالات وعواطف بشريّة، مثلنا، ومحوّلة تحَوُّلًا كاملًا بحبِّه الإلهيّ. ويجب أن تصل العبادة إلى المحبّة اللامتناهية لشخص ابن الله، لكن يجب أن نؤكّد أنّها لا تنفصل عن محبّته كإنسان، ولهذا الهدف تساعدنا صورة قلبه الجسديّ.

61. إن كان القلب، حتّى اليوم، يُنظر إليه في المشاعر الشّعبيّة على أنّه المركز العاطفيّ لكلّ إنسان، فهو أفضل ما يدُلّ على المحبّة الإلهيّة للمسيح، المتّحدة إلى الأبد وبشكل لا ينفصل، بمحبّته الإنسانيّة الكاملة. قال البابا بيوس الثّاني عشر إنّ كلمة الله "في كلامه على حبِّ قلب يسوع نفسه، لا يعني الحُبّ الإلهيّ فقط، بل أيضًا مشاعر المودّة الإنسانيّة [...]. لذلك فإنّ قلب يسوع المسيح، المتّحد أقنوميًّا بشخص الكلمة الإلهيّ، يخفق بالتّأكيد بالحبّ وبكلّ عاطفة حسيّة أخرى" [36].

62. في آباء الكنيسة، وأمام بعض الذين أنكروا إنسانيّة المسيح الحقيقيّة أو قالوا إنّها نسبيّة، نجد تأكيدًا شديدًا على الحقيقة الملموسة والواقعيّة لعواطف الرّبّ البشريّة. وهكذا أكّد القدّيس باسيليوس أنّ تجسّد الرّبّ لم يكن شيئًا خياليًّا، بل "كان للرّبّ عواطف طبيعيّة" [37]. واقترح القدّيس يوحنّا الذّهبي الفم مثلًا قال: "لو لم يكن له طبيعتنا البشريّة لما شعر بالحزن أكثر من مرّة" [38]. وقال القدّيس أمبروزيوس: "بما أنّه أخذ النّفس، فقد أخذ أهواء النّفس" [39]. ويقول القدّيس أغسطينس إنّ العواطف البشريّة هي واقع، وبمجرّد أن اتّخذها المسيح، لم تعد غريبة عن حياة النّعمة: "أخذ الرّبّ يسوع كلّ هذه النّتائج للضّعف البشريّ، كما أخذ الموت الجسديّ، ليس عن ضرورة فُرضت عليه، بل بإرادة راحمة. [...] لذلك، إذا حدث للبعض أن يحزن ويتألّم في وسط التّجارب البشريّة، لا يحزن ولا يتألّم، ولا يعدّ نفسه متروكًا تركته نعمة المسيح" [40]. وأخيرًا يرى القدّيس يوحنّا الدّمشقي أنّ هذه الخبرة العاطفيّة الحقيقيّة التي عاشها المسيح في إنسانيّته هي دليل على أنّه اتّخذ طبيعتنا بكلّيّتها لا جزئيًّا، ليفتديها ويحوّلها بكلّيّتها. اتّخذ المسيح كلّ العناصر التي تتكوّن منها الطّبيعة البشريّة، لكي يقدّسَها كلّها. [41]

63. يجدر بنا أن نذكر هنا فكرة أحد اللاهوتيّين الذي يعترف بأنّ "اللاهوت، تحت تأثير الفكر اليونانيّ، قد أحال، مدّة فترة طويلة، الجسد والمشاعر إلى عالم ما قبل الإنسان، أو إلى ما هو دون الإنسان، أو إلى ما هو تجربة للإنسان. لكن ما لم يجد له اللاهوت حَلًّا من النّاحية النّظريّة، وجد له حَلًّا في الحياة الرّوحيّة العمليّة. هذه الحياة الرّوحيّة والعبادات الشّعبيّة حفظت العلاقة حيّة مع الجوانب الجسديّة والنّفسيّة والتّاريخيّة في شخصيّة يسوع. فإنّ درب الصّليب، وتكريم جراحاته، وروحانيّة الدّم الثّمين، وتكريم قلب يسوع، والممارسات الإفخارستيّة [...]. كلّ هذا ملأ الفجوات في اللاهوت، وغذّى الخيال والقلب، الذي هو المحبّة والحنان في المسيح، والرّجاء والذّكرى، والشّوق والحنين. وسار العقل والمنطق في طرق أخرى" [42].

الحبّ الثّلاثيّ

64. ولا نتوقّف عند مشاعره الإنسانيّة، مهما كانت جميلة ومؤثّرة، لأنّنا عندما نتأمّل في قلب المسيح ندرك كيف تظهر في مشاعره النّبيلة والسّليمة، وفي حنانه، وفي ارتعاش عاطفته الإنسانيّة، الحقيقة الكاملة لحبِّه الإلهيّ اللامتناهي. قال البابا بندكتس السّادس عشر: "من أفق حبِّه اللامتناهي، أراد الله أن يدخل في حدود التّاريخ والحالة الإنسانيّة، فاتّخذ جسدًا وقلبًا، حتّى نتمكّن من التّأمّل فيه واللقاء باللامحدود في المحدود فيه، أيّ السّرّ غير المرئيّ والذي لا يوصف في قلب يسوع النّاصريّ البشريّ" [43].

65. في الواقع، نرى في صورة قلب الرّبّ محبّة ثلاثيّة تدهشنا. أوّلًا، الحبُّ الإلهيّ اللامحدود الذي نجده في المسيح. ولكن لنفكّرْ أيضًا في البُعدِ الرّوحيّ لإنسانيّة الرّبّ. من هذا المنطلق، فإنّ القلب "رمز للمحبّة المتقّدة التي، إذا أفيضت في نفسه، صارت الموهبة الثّمينة في إرادته الإنسانيّة". وأخيرًا، القلب "رمز لحبّه الحِسّي" [44].

66. إنّ هذا الحُبّ الثّلاثيّ ليس ثلاث طاقات منفصلة، تعمل بطريقة متوازية أو مستقلّة، بل تعمل وتعبِّر عن نفسها معًا في تدفّق واحد مستمرّ للحياة: "في الواقع، في ضوء الإيمان، الذي به نؤمن أنّ الطّبيعة الإنسانيّة والإلهيّة متّحدتان في

67. لذلك، بدخولنا في قلب المسيح، نشعر أنّنا محبوبون، وأنّ قلبًا بشريًّا يُحِبُّنا، وهو مملوء بالمشاعر والعواطف مثلنا. إنّ إرادته البشريّة تريد أن تحِبّنا بحرّيّة، وهذه الإرادة الرّوحيّة مستنيرة استنارة كاملة بالنّعمة والمحبّة. عندما نصل إلى أعماق ذلك القلب، يغمرنا مجد لا يقاس لحبّه غير المحدود، حبِّ الابن الأزليّ، والذي لم يَعُدْ بإمكاننا أن نفصله عن حبِّه البشريّ. ففي حبِّه البشريّ، ومن دون الابتعاد عنه، نجد حبّه الإلهيّ: نجد "اللامحدود في المحدود" [46].

68. إنّ تعليم الكنيسة الثّابت والنّهائي هو أنّ عبادتنا لشخصه هي عبادة واحدة وتشمل بما لا يقبل الانفصال طبيعته الإلهيّة وطبيعته البشريّة. علّمت الكنيسة منذ العصور القديمة أنّه يجب "أن نعبد المسيح الواحد نفسه، ابن الله وابن الإنسان، في طبيعتَين غير منفصلتَين وغير منقسمتَين" [47]، وذلك "بعبادة واحدة [...]، لأنّ الكلمة صار بشرًا" [48]. لا يُعبَدُ المسيح بأيّ حال من الأحوال "في طبيعتَين، فينشأ عن ذلك عبادتان"، بل "كلمة الله المتجسِّد في جسده يُعبد عبادة واحدة" [49].

69. أراد القدّيس يوحنّا الصّليب أن يقول إنّ محبّة المسيح القائم من الموت والتي لا تقاس ليست، في الخبرة الصّوفيّة، غريبة عن حياتنا. اللامحدود يتنازل بطريقة ما، حتّى نقدر أن نعيش، في قلب المسيح المنفتح، لقاء حبّ متبادل حقيقيّ: "يمكن للعصفور الذي يطير على ارتفاع منخفض أن يمسك بالنّسر الذّهبي الذي يطير على ارتفاع عالٍ، إذا انخفض النّسرُ وأراد أن يجعل العصفور يمسك به" [50]. ويضيف موضِّحًا: "عندما يرى الزّوجة جريحة بحبِّه، ويسمع أنينها، يصير هو أيضًا جريحًا بحبّها. لأنّ جرح الواحد بين المحبّين هو جرح الآخر وكلاهما لديه نفس الشّعور" [51]. يرى هذا الصّوفيّ في صورة جنب المسيح المطعون دعوة إلى الاتّحاد الكامل مع الرّبّ. هو الأيّل الجريح، وهو جريح منذ أن نسمح لحبّه بأن يؤثّر فينا، ينزل إلى مجاري المياه ليروي عطشه، ويجد الرّاحة في كلّ مرّة نلجأ إليه:

"ارجعي أيّتها الحمامة

لأنّ الأيّل الجريح

يُطِلّ على أعلى التّلّة

وفي نسيم تحليقك يتنسّم البُرُودَ" [52].

آفاق ثالوثيّة

70. إنّ عبادة قلب يسوع هي عبادة كريستولوجيّة واضحة. إنّها تأمّل مباشر في المسيح الذي يدعو إلى الاتّحاد به. وهذا أمر مشروع إذا أخذنا بعين الاعتبار ما تقوله الرّسالة إلى العبرانيّين: أن نركض في سباقنا "مُحَدِّقينَ إِلى مُبدِئ إيمانِنا ومُتَمِّمِه، يسوعَ" (12، 2). ولكن، لا يمكننا أن نتجاهل أنّ يسوع، في الوقت نفسه، يقول لنا إنّه طريق للذّهاب إلى الآب: "أنا الطّريقُ [...]. لَا يَمْضِي أَحَدٌ إِلى الآبِ إِلّا بِي" (يوحنّا 14، 6). إنّه يريد أن يسير بنا إلى الآب. ولهذا فإن بشارة الكنيسة، منذ البدء، لا تدعنا نتوقّف عند يسوع المسيح، بل تقودنا إلى الآب. وهو في النّهاية، ملء الوجود الذي يجب أن يُمَجَّد. [53]

71. لنركّز، على سبيل المثال، على الرّسالة إلى أهل أفسس، حيث يمكننا أن نرى بوضوح أنّ عبادتنا موجّهة نحو الآب: "لِهذا أَجْثو على رُكبَتَيّ لِلآب" (أفسس 3، 14). "إلهٌ واحِدٌ أَبٌ لِجَميعِ الخَلْقِ وفوقَهُم جَميعًا، يَعمَلُ بِهِم جَميعًا وهو فيهِم جَميعًا" (أفسس 4، 6). "اشكُروا اللهَ الآبَ كُلّ حينٍ على كُلّ شَيء" (أفسس 5، 20). الآب هو الذي إليه نحن نسير (راجع 1 قورنتس 8، 6). ولهذا قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني إنّ "الحياة المسيحيّة كلّها هي بمثابة حَجّ كبير إلى بيت الآب" [54]. وهذا ما اختبره القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ في طريقه إلى الاستشهاد: "في داخلي ماءٌ حيٌّ يوَشوش ويقول لِي: تعال إلى الآب!" [55].

72. إنّه أوّلًا وقبل كلّ شيء أبو يسوع المسيح: "تَبارَكَ اللّهُ أبو رَبّنا يسوعَ المسيح" (أفسس 1، 3). إنّه "إلهُ رَبّنا يسوعَ المسيح، أبو المـَجْد" (أفسس 1، 17). عندما صار ابن الله إنسانًا، كانت كلّ رغبات وتطلّعات قلبه البشريّ موجّهة إلى الآب. إن رأينا كيف كان المسيح يرجع دائمًا إلى الآب، يمكننا أن ندرك هذا الانجذاب في قلبه البشريّ، وهذا التّوجّه

73. نعلَم أنّ الكلمة الآراميّة التي كان يخاطب بها الآب هي "أبّا" وتعني "أبتِ". وفي زمانه كان البعض ينزعج من هذه الألفة (راجع يوحنّا 5، 18). إنّه التّعبير الذي استخدمه يسوع للتّواصل مع الآب عندما ظهرت آلام الموت: "أبّا، يا أَبَتِ! إِنّكَ على كُلّ شَيءٍ قَدير، فَاصرفْ عنّي هذِه الكَأس. ولكِن لا ما أنا أشاء، بل ما أنتَ تَشاء" (مرقس 14، 36). لقد اعترف دائمًا أنّ الآب يحبّه: "لأَنّكَ أَحبَبْتَني قَبلَ إِنشَاءِ العَالَم" (يوحنّا 17، 24). وكان يسوع، في قلبه البشريّ، في بهجة شديدة عندما يسمع الآب يقول له: "أَنتَ ابنِي الحَبِيب، عَنكَ رَضِيْت" (مرقس 1، 11).

74. يقول الإنجيل الرّابع إنّ ابن الآب الأزليّ كان دائمًا "في حِضْنِ الآب" (يوحنّا 1، 18) [58]. ويؤكّد القدّيس إيرينيوس أنّ "ابن الله كان دائمًا في حضرة الآب" [59]. ويؤكّد أوريجانس أنّ الابن "مستمرٌ في التّأمّل المتواصل في الهُوّة الأبويّة" [60]. ولهذا السّبب، عندما صار الابن إنسانًا، كان يقضي الليالِ في الصّلاة مع الآب الحبيب على قمّة الجبل (راجع لوقا 6، 12). قال: "يَجِبُ عَلَيّ أن أكونَ عِندَ أبي" (لوقا 2، 49). ولننظُرْ إلى يسوع يسبّح الآب: "تَهَلّلَ بِدافِعٍ مِنَ الرّوح القُدُس فقال: أَحمَدُكَ يا أَبَتِ، رَبّ السّماءِ والأَرض" (لوقا 10، 21). وكانت كلماته الأخيرة، المملوءة بالثّقة: "يا أَبَتِ، فِي يَدَيْكَ أَجعَلُ رُوحي" (لوقا 23، 46).

75. لنوجّه نظرنا الآن إلى الرّوح القدس الذي يملأ قلب المسيح ويضطرم فيه. لأنّ قلب يسوع، كما قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني، هو "تحفة الرّوح القدس" [61]، وهو ليس مجرّد شيء من الماضي، لأنّ "عمل الرّوح القدس حيٌّ في قلب المسيح، وقد نسب يسوع إليه إلهام رسالته (راجع لوقا 4، 18؛ أشعيا 61، 1) ووعد بإرساله في أثناء العشاء الأخير. إنّه الرّوح الذي يساعدنا على فهم غنى الرّمز في جنب المسيح المطعون، الذي ولدت منه الكنيسة (راجع دستور في الليتورجيّا المقدّسة، *المجمع المقدّس*، (5" [62]. وبالإيجاز، "الرّوح القدس وحده يستطيع أن يفتح أمامنا ملء الإنسان الدّاخليّ"، الذي في قلب المسيح. وهو وحده القادر على نقل قوّة هذا الامتلاء تدريجيًّا إلى قلوبنا البشريّة" [63].

76. إذا حاولنا أن نتعمّق في سرّ عمل الرّوح، نرى أنّه يئِنّ فينا، ويقول "أبّا"، "والدّليلُ على كَونِكُم أبناء أنّ اللهَ أرسَلَ رُوحَ ابنِه إلى قُلوبِنا، الرّوحَ الّذي يُنادي: أبّا، يا أبتِ" (غلاطية 4، 6). في الواقع "وهذا الرّوحُ نَفْسُه يَشْهَدُ مع أرواحِنا بِأَنّنا أبناءُ الله" (رومة 8، 16). إنّ عمل الرّوح القدس في قلب المسيح البشريّ يؤدّي باستمرار إلى هذا الانجذاب نحو الآب. وعندما يوحّدنا مع مشاعر المسيح بالنّعمة، فهو يجعلنا شركاء في علاقة الابن مع الآب، وهو "روحَ تَبَنٍّ بِه نُنادي: أَبّا، يا أَبَتِ!" (رومة 8، 15).

77. تتحوّل علاقتنا مع قلب المسيح، بدافع الرّوح الذي يوجّهنا نحو الآب، مصدر الحياة وأصل النّعمة. المسيح نفسه لا يريد أن نتوقّف عنده فقط. محبّة المسيح هي "وَحْيُ رحمةِ الآب" [64]. ورغبته هي أن نذهب، مدفوعين بالرّوح المتدفّق من قلبه، "معه وفيه" إلى الآب. فالمجد موجّه إلى الآب "بالمسيح" [65]، و"مع المسيح" [66]، و"في المسيح" [67]. علّم القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني أنّ "قلب المخلّص يدعونا إلى العودة إلى محبّة الآب، التي هي ينبوع كلّ محبّة حقيقيّة" [68]. هذا هو الرّوح القدس، الآتي إلينا من قلب المسيح، والذي يريد أن يغذّيه في قلوبنا. ولهذا، تتّجه الليتورجيّا دائمًا، بقوّة عمل الرّوح المحيي، إلى الآب، من قلب المسيح القائم من الموت.

تعليمات السّلطة الكنسيّة الأخيرة

78. كان قلب المسيح حاضرًا بطرق مختلفة في تاريخ الرّوحانيّة المسيحيّة. ظهر في الكتاب المقدّس وفي القرون الأولى للكنيسة في صورة جنب الرّبّ المجروح، كمصدر للنّعمة ونداء للقاء محبّة حميم. وهكذا ظهر باستمرار في شهادة قدّيسين كثيرين حتّى يومنا هذا. في القرون الأخيرة، صارت هذه الرّوحانيّة عبادة حقيقيّة لقلب الرّبّ.

79. أشار البعض من أسلافي إلى قلب المسيح ودعَوْنا للانضمام إليه بتعابير مختلفة جدًّا. في نهاية القرن التّاسع عشر، دعانا لاون الثّالث عشر إلى تكريس أنفسنا له، وفي ندائه، جمع في الوقت نفسه بين الدّعوة إلى الاتّحاد بالمسيح والاندهاش أمام بهاء حبّه غير المحدود. [69] وبعد ثلاثين سنة تقريبًا، قدّم بيوس الحادي عشر هذه العبادة على أنّها خلاصة للإيمان المسيحيّ. [70] علاوة على ذلك، أكّد بيوس الثّاني عشر أنّ عبادة القلب الأقدس تعبّر بطريقة ممتازة، في خلاصة سامية، عن عبادتنا ليسوع المسيح. [71]

80. ومؤخّرًا، قدّم القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني تطوّر هذه العبادة في القرون الماضية كردّة فعل على نموّ طرق الرّوحانيّة المتزمّتة، وكأنّ المؤمن لا جسد له، وقد نسي رحمة الله، وهذه العبادة هي في الوقت نفسه نداء معاصر إلى عالمٍ يحاول أن يبني نفسه بدون الله: "إنّ عبادة القلب الأقدس، كما تطوّرت في أوروبا منذ قرنين من الزّمن، تحت تأثير الخبرة الصّوفيّة للقدّيسة مارغريتا مريم ألاكوك (Margherita Maria Alacocque)، كانت بمثابة الرّد على تزمّت أتباع جانسينيوس، الذي أدّى به الأمر إلى جهل رحمة الله غير المحدودة. [...] يحتاج إنسان عام 2000 إلى قلب المسيح ليعرف الله وليعرف نفسه، إنّه يحتاج إليه لبناء حضارة المحبّة" [72].

81. البابا بنديكتس السّادس عشر دعانا إلى أن نرى في قلب المسيح حضورًا حميمًا كلّ يوم في حياة كلّ واحد وواحدة: "كلّ شخص يجب أن يكون لحياته محور ومصدر حقيقة وصلاح يستمدّ منه قوّة لمواجهة مختلف الحالات، ومتاعب الحياة اليوميّة. كلّ واحد منّا، إذا صمت، يحتاج إلى سماع ليس فقط خفقات قلبه، بل أيضًا، ما هو أعمق، إلى خفقان حضورٍ يثق به، يمكن إدراكه بحواسّ الإيمان، وما هو أكثر واقعيّة: حضور المسيح، قلب العالم" [73].

تحليل متعمّق والأوضاع الرّاهنة

82. إنّ الصّورة المعبّرة والرّمزيّة لقلب المسيح ليست الوسيلة الوحيدة التي يعطينا إياها الرّوح القدس لنجد محبّة المسيح، وهي تحتاج دائمًا إلى مزيد من التوضيح والنّور والتّجديد، بالتّأمّل وقراءة الإنجيل والنّضج الرّوحي. سبق البابا بيوس الثّاني عشر وقال إنّ الكنيسة لا تدّعي "أنّها ترى وتسجد في قلب يسوع، للصّورة الرّسميّة والكاملة للحبّ الإلهيّ الذي ترمز إليه الصّورة، لأنّه ليس من الممكن التّعبير تعبيرًا مناسبًا عن الجوهر الحميم، لهذا الحبّ في صورة مخلوقة" [74].

83. إنّ عبادة قلب المسيح ضروريّة لحياتنا المسيحيّة لأنّها تعني انفتاحنا المليء بالإيمان والسّجود على سِرّ محبّة المسيح الإلهيّة والإنسانيّة، لدرجة أنّنا نستطيع أن نؤكّد مرّة أخرى أنّ القلب الأقدس هو ملخّصٌ للإنجيل. [75] يجب أن نذكر أنّ الرّؤى أو الظّواهر الصّوفيّة التي يرويها بعض القدّيسين الذين اقترحوا بشغف كبير عبادة قلب يسوع، ليست موضوعًا يجب على المؤمنين تصديقه كما لو كانت هذه الرّؤى والظّواهر كلمة الله. [76] فهي محفِّزات جميلة يمكن أن تحفِّزنا وتحملنا على أعمال تقوى جيّدة جدًّا، لكن يجب ألاّ يشعر أحد بأنّه مضطَرٌّ إلى استخدامها، إن لم يجد فيها ما يساعده في مسيرته الرّوحيّة. ويجب أن نذكر دائمًا، كما قال البابا بيوس الثّاني عشر، أنّه لا يمكن القول إنّ هذه العبادة "يعود أصلها إلى وحْيٍ خاصّ" [77].

84. إنّ اقتراح المناولة الإفخارستيّة في أوّل جمعة من كلّ شهر، مثلًا، كان رسالة قويّة في وقت توقّف فيه كثير من النّاس عن التّقدّم إلى المناولة لأنّهم لم يكونوا واثقين بالمغفرة الإلهيّة، وبرحمته، وكانوا يعتبرون المناولة مثل مكافأة للكاملين. في هذه البيئة الجانسينيّة، أدّى التّرويج لهذه الممارسة إلى خير كبير، حيث ساعد على الاعتراف في الإفخارستيّا بحبّ قلب المسيح المجانيّ والقريب منّا، والذي يدعونا إلى الاتّحاد به. ويمكن أن نؤكّد أنّ هذه الممارسة تصنع لنا خيرًا كبيرًا لسبب آخر: لأنّنا في خِضَمّ دوّامة العالم الحاليّ وطلبنا المهووس لوقت الفراغ والاستهلاك واللهو والهواتف المحمولة ووسائل التّواصل الاجتماعيّ، ننسى أن نغذّيَ حياتنا بقوّة القربان الأقدس.

85. كذلك يجب ألاّ يشعر أحد بأنّه مجبر على إقامة ساعة سجود كلّ يوم خميس. ولكنّنا نوصي به. عندما يقوم شخص بهذه الممارسة بحرارة، مع عدد من الإخوة والأخوات، ويجد في الإفخارستيّا كلّ حبّ قلب المسيح، "فإنّه يسجد مع الكنيسة للرّمز والصّورة للمحبّة الإلهيّة، التي جاءت لتحِبّ أيضًا الجنس البشريّ، بقلب الكلمة المتجسّد" [78].

86. كان هذا أمرًا يصعب فهمه للعديد من الجانسينيّين، الذين كانوا ينظرون بازدراء إلى كلّ ما هو إنسانيّ وعاطفيّ وجسديّ، وبعبارة أخرى اعتبروا أنّ هذه العبادة كانت تبعدنا عن أنقى العبادات لله العليّ. قال بيوس الثّاني عشر إنّها "الصّوفيّة المزيّفة" [79] وهي موقف نخبويّ لبعض المجموعات التي كانت ترى الله عاليًا جدًّا ومنفصلًا جدًّا وبعيدًا جدًّا، وتوصّلوا إلى القول إنّ هذه الممارسات الحسّيّة للتقوى الشّعبيّة خطيرة وبحاجة إلى مراقبة الكنسية.

87. يمكن القول إنّنا نواجه اليوم، أكثر من أيّام الجانسينيّة، تقدّمًا شديدًا في العلمنة التي تطمح إلى عالم خالٍ من

88. أودّ أن أضيف أنّ قلب المسيح يحرّرُنا في الوقت نفسه من ثنائيّة أخرى: ثنائيّة الجماعات والرّعاة الذين يركّزون فقط على الأنشطة الخارجيّة، والإصلاحات الهيكليّة الخالية من الإنجيل، والمنظمّات الضّاغطة على غيرها، والمشاريع الدّنيويّة، والأفكار العلمانيّة، والمقترحات المختلفة التي تقدّم لنا كأنّها ضروريّة ويجب فرضها على الجميع. ينجم عن هذا مرارًا مسيحيّة تنسى حنان الإيمان، وفرح التّفاني في الخدمة، وحماسة نقل الرّسالة من شخص إلى آخر، وإدراك جمال المسيح، والشّكر البالغ للصّداقة التي يقدّمُها، وللمعنى النّهائي التي تعطيه للحياة الشّخصيّة. باختصار، إنّه شكل آخر من أشكال الفلسفة المتعالية الخادعة، وهي أيضًا بلا جسد.

89. هذه الأمراض الحاليّة، التي، إذا سمحنا لأنفسنا بالوقوع فيها، لا نشعر حتّى بالرّغبة في الشّفاء منها، تدفعني إلى أن أقترح على الكنيسة جمعاء تعمّقًا جديدًا في حُبِّ المسيح المتمثّل في قلبه الأقدس. هنا نقدر أن نجد الإنجيل كلّه، وهنا ملخّص الحقيقة التي نؤمن بها، وهنا ما نسجد له وما نسعى إليه في الإيمان، وما نحتاج إليه بشدّة.

90. أمام قلب المسيح، يمكن العودة إلى خلاصة الإنجيل المتجسّد، وإلى عيش ما اقترحتْه قبل قليل، متذكّرًا القدّيسة تريزا الطّفل يسوع العزيزة: "الموقف الأنسب هو أن نضع ثقة القلب خارج أنفسنا: في الرّحمة غير المحدودة لإله يحِبّ بلا حدود، والذي أعطانا كلّ شيء على صليب يسوع" [80]. عاشتها تريزا بصورة مكثّفة لأنّها اكتشفت في قلب المسيح أنّ الله محبّة: "أعطاني رحمته غير المحدودة، وفيها أتأمّل وأسجد لسائر الكمالات الإلهيّة" [81]. ولهذا السّبب فإنّ الصّلاة الأكثر شعبيّة، والموجّهة مثل السّهم إلى قلب المسيح، تقول ببساطة: "أثق بك" [82]. ولا حاجة لكلام آخر.

91. في الفصول التّالية سنسلّط الضّوء على جانبَيْن أساسيّيْن يجب أن تجمع بينهما اليوم عبادة القلب الأقدس لمواصلة تغذيتنا وتقريبنا من الإنجيل: الخبرة الرّوحيّة الشّخصيّة والتزام حياة الجماعة وحياة الرّسالة.

الفصل الرّابع

الحبّ الذي يعطي لتشرب

92. لِنَعُدْ إلى الكتب المقدّسة، إلى النّصوص الملهمة التي هي المكان الرّئيسيّ الذي نجد فيه الوحيّ. فيها وفي تقليد الكنيسة الحيّ نجد ما أراد الله نفسه أن يقول لنا عبر التّاريخ. ومن قراءة نصوص العهدَين القديم والجديد، سنجمع بعضًا من آثار كلمة الله في المسيرة الرّوحيّة الطّويلة لشّعب الله.

عطش إلى محبّة الله

93. يُظهر الكتاب المقدّس أنّ الله وعد الشّعب الذي سَارَ في الصّحراء وكان ينتظر التّحرير، بمياه غزيرة منعشة: "وتستَقونَ المِياهَ مِن يَنابيعَ الخَلاصِ مُبتَهِجين" (أشعيا 12، 3). استخدمت النّبوءات المسيحانيّة صورة ينبوع الماء المطهّر: "وأَرُشُّ عليكم ماءً طاهِرًا، فتَطهُرونَ [...] وأجعَلُ في أَحْشائِكم روحًا جَديدًا" (حزقيال 36، 25– 26). إنّه الماء الذي سيعيد إلى الشّعب الحياة الكاملة، مثل الينبوع الذي يتدفّق من الهيكل ويوجد في مجراه الحياة والصّحّة: "إذا على شاطِئِ النّهر أَشْجارٌ كَثيرةٌ جِدًّا مِن هُنا ومِن هُناك. [...] وكُلّ نَفْسٍ حيَةٍ تَدِبُّ حَيثُ يَبلُغُ مَجْرى النّهر تَحْيا [...]، لأَنّ هذه المِياهَ تَبلُغُ إلى هُناكَ وتُصبِحُ طَيّبَة، فكُلُّ ما يَبلُغُ إِلَيه النّهرُ يَحْيا" (حزقيال 47، 7. 9).

94. عيد العرش عند اليهود (السُّكُّوت)، الذي يحتفل بذكرى أربعين سنة في الصّحراء، اتّخذ تدريجيًّا رمز الماء كعنصر أساسيّ، وصار فيه طقس تقديم الماء كلّ صباح، وكان هذا الطّقس يصير احتفالًا كبيرًا جدًّا في آخر يوم من العيد: فيسيرون في تطواف كبير إلى الهيكل حيث، يطوفون سبع مرّات حول المذبح، ثمّ يقدّم الماء لله وسط ضجيج كبير. [83]

95. ثمّ جاء إعلان مجيء الزّمن المسيحانيّ في صورة الينبوع المتدفّق للشّعب: "وأُفيضُ على بَيتِ داوُدَ وعلى سُكّانِ أُورَشَليمَ روحَ النِّعمَةِ والتّضَرُّعات، فيَنظُرونَ إِلَيّ، إِلَى الّذي طَعَنوه [...] في ذلك اليَوم، يَكون يَنبوعٌ مَفْتوحٌ لِبَيتِ داوُدَ ولِسُكّانِ أُورَشَليم، لِلخَطيئَةِ والرِّجْس" (زكريّا 12، 10؛ 13، 1).

96. إنسانٌ مطعون، وينبوع مفتوح، وروح نعمة وصلاة. لقد رأى المسيحيّون الأوّلون بشكلٍ واضح أنّ هذا الوعد قد تحقّق في جنب المسيح المفتوح، وهو الينبوع الذي تأتي منه الحياة الجديدة. نرى في إنجيل يوحنّا أنّ هذه النّبوءة تحقّقت في المسيح. نتأمّل في جنبه المفتوح، الذي منه يتدفّق ماء الرّوح: "لكِنّ واحِدًا مِنَ الجُنودِ طَعَنَه بِحَربَةٍ في جَنبِه، فخرَجَ لِوَقتِه دَمٌ وماء" (يوحنّا 19، 34). ثمّ يضيف الإنجيليّ: "فَيَنظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ" (يوحنّا 19، 37). فهو يتابع نبوءة النّبي الذي وعد الشّعب بينبوع مفتوح في أورشليم، عندما يوجّهون نظرهم إلى المطعون (راجع زكريا 12، 10). الينبوع المفتوح هو جنب يسوع الجريح.

97. نلاحظ أنّ الإنجيل نفسه أعلن عن هذه اللحظة المقدّسة، في "آخِرِ يَومٍ مِنَ العيد"، عيد العرش (يوحنّا 7، 37). إذّاك وقَفَ يسوع ورفَعَ صوتَه قال للشّعب المحتفل بالتّطواف الكبير: "إن عَطِشَ أَحَدٌ فلْيُقبِلْ إِلَيّ، ومَن آمنَ بي فَلْيَشرَبْ [...] ستَجْري مِن جَوفِه أنهارٌ مِنَ الماءِ الحَيّ" (يوحنّا 7، 37–38). وليتمّ ذلك، كان لا بدّ من أن تأتي "ساعته"، لأنّ يسوع "لم يكن قد تمجّد بعد" (يوحنّا 7، 39). وتَمّ كلّ شيء في ينبوع الصّليب المتدفّق.

98. في سفر الرّؤيا، يظهر المطعون من جديد: "ستَراه كُلُّ عَينٍ حتّى الّذينَ طَعَنوه" (رؤيا يوحنّا 1، 7)، والينبوع المفتوح: "ومَن كانَ عَطْشانَ فلْيَأتِ، ومَن شاءَ فلْيَستَقِ ماءَ الحَياةِ مَجّانًا" (رؤيا يوحنّا 22، 17).

99. الجنب المطعون هو في الوقت نفسه عرش المحبّة، المحبّة التي أعلنها الله لشعبه بكلمات كثيرة ومختلفة تستحق أن تُذكَر:

"صِرتَ كَريمًا في عَينَيّ، ومَجيدًا فإنّي أحبَبتُكَ" (أشعيا 43، 4).

"أتَنْسى المـَرأةُ رَضيعَها، فلا تَرحَمُ آبنَ بَطنِها؟ حتّى ولَو نَسيَتِ النِّساءُ، فأنا لا أنْساك. هاءَنَذا على كَفّيّ نَقَشتُك" (أشعيا 49، 15-16).

"وإنِ ابتَعَدَتِ الجِبالُ وتَزَعزَعَتِ التِّلال، فإنّ رَأفَتي لن تَبتَعِدَ عنك، وعَهدَ سَلامي لن يَتَزَعزَع" (أشعيا 54، 10).

"أحبَبتُك حُبًّا أَبَدِيًّا، فلِذلك اجتَذَبتُك بِرَحمَة" (إرميا 31، 3).

"في وَسَطِكِ الرّبُّ إلهُكِ، الجَبّارُ الّذي يُخَلِّص، ويُسَرُّ بِك فرَحًا، ويُجَدِّدُك بِمَحَبّتِه، ويَبتَهِجُ بِك بِالتّهْليل" (صفنيا 3، 17).

100. يذهب النّبي هوشع إلى أبعد من ذلك فيتكلّم على قلب الله: "بِحِبالِ البَشر، بِرَوابِطِ الحُبّ اجتَذَبتُهم" (هوشع 11، 4). وبسبب هذا الحبّ المزدرَى استطاع أن يقول: "قدِ انقَلَبَ فيّ فُؤادي، واضطَرَمَت أحْشائي" (هوشع 11، 8). لكن ستنتصر الرّحمة دائمًا (راجع هوشع 11، 9)، وستبلغ أقصى تعبير لها في المسيح، كلمة المحبّة النّهائيّة.

101. في قلب المسيح المطعون، تتجمّع كلّ تعابير المحبّة في الكتب المقدّسة، المكتوبة في الجسد. فهو ليس حبًّا معلنًا بصورة هيّنة، بل جنبُه المفتوح هو ينبوع الحياة لجميع الذين يحبّهم، وهو الينبوع الذي يروي عطش شعبه. وكما علّم القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني، "إنّ العناصر الأساسيّة لهذه العبادة تنتمي، بشكل دائم، إلى روحانيّة الكنيسة عبر تاريخها، لأنّ الكنيسة، منذ البداية، وجّهت نظرها إلى قلب المسيح المطعون على الصّليب" [84].

أصداء الكلمة في التّاريخ

102. لننظر في بعض النّتائج التي أحدثتها كلمة الله هذه في تاريخ الإيمان المسيحيّ. ذكر العديد من آباء الكنيسة، ولا سيّما مِن آسيا الصّغرى، أنّ الجرح في جنب يسوع هو أصل الماء المتدفّق من الرّوح: من الكلمة ومن نعمة الكلمة ومن الأسرار التي توصِلُها. قوّة الشّهداء تنبع من "الينبوع السّماويّ، ينبوع الماء الحيّ المتدفّق من أحشاء المسيح" [85]، أو كما ترجم روفينوس (Rufinus) من "الينابيع السّماويّة الأبديّة المتدفّقة من أحشاء المسيح" [86]. نحن المؤمنين المولودين ثانية من الرّوح، أتينا من مغارة تلك الصّخرة، "خرَجْنا من قلب المسيح" [87]. وجنبه الجريح، الذي نرى فيه قلبه، مليء بالرّوح القدس وتأتينا منه أنهار الماء الحيّ: "ينبوع الرّوح كلّه في المسيح" [88]. والرّوح الذي نقبله لا يبعدنا عن الرّبّ القائم من الموت، بل يملأنا به، لأنّنا إذا ارتوينا من الرّوح ارتوينا من المسيح نفسه: "اشرب من

103. كان القدّيس أغسطينس رائداً في عبادة قلب يسوع الأقدس، كمكان لقاء شخصيٍّ مع الرّبّ. بالنّسبة له، قلب المسيح ليس فقط مصدر النّعمة والأسرار، بل هو شخص، وقلبه رمز للاتّحاد الحميم مع المسيح، ولقاء المحبّة. وفيه يكمن أصل الحكمة الكبرى التي هي معرفته. في الواقع، كتب أغسطينس أنّ يوحنّا الحبيب الذي أمال رأسه إلى صدر يسوع في العشاء الأخير، واقترب من مكان الحكمة السّرّي. [90] لسنا أمام فكرٍ نظريٍّ بسيط في حقيقة لاهوتيّة. قال القدّيس إيرونيمس إنّ الإنسان القادر على التّأمّل "لا يتمتّع بجمال مجرى الماء، بل يشرب الماء الحيّ من جنب الرّبّ" .[91]

104. عاد القدّيس برناردس إلى رمزيّة جنب الرّبّ المطعون، ورأى فيه بصراحة كشفًا وعطيّة لمحبّة قلبه. من خلال الجرح، يصبح في متناولنا ويمكننا أن نجعل سرّ المحبّة والرّحمة العظيم سرًّا فينا: "إنّني آخذ من قلب الرّبّ ما ينقصني، لأنّه مليء بالرّحمة، وفيه ثغرات كثيرة تنزل منها الرّحمة وتَصِل إليّ. لقد ثقبوا يديه ورجليه، وطعنوا جنبه بحربة، ومن هذه الفتحات أستطيع أن أرتشف العسل من الصّخرة والزّيت من الحجر الصّلب، أي أتذوّق وأرى ما أعذب الرّبّ. [...] الحديد نفسه واقترب من قلبه، فهو لا يقدر بعد ذلك أن لا يشفق على ضعفي. جراح الجسد فتحت الباب إلى سرّ قلبه، وظهر السّرّ الكبير والعلامة للرّحمة، وظهرت أحشاء رحمة إلهنا" [92].

105. يظهر هذا الفكر بصورة خاصّة في كتابات ويليام دي سان تييرّي (Guglielmo di Saint-Thierry)، الذي يدعونا إلى أن ندخل في قلب يسوع، الذي يغذّينا في قلبه. [93] وهذا ليس بغريب، إذا تذكّرنا أنّه بالنّسبة لهذا المؤلّف "فنّ الفنون هو فنّ الحبّ [...] والحبّ يعطيه خالق الطّبيعة. الحبّ هو قوّة الرّوح، وهو يقودها مثل دَفعٍ طبيعيّ إلى مكانه وغايته" [94]. المكان المناسب له، حيث الحبّ هو السّيّد المطلق، هو قلب المسيح: "يا ربّ، إلى أين تذهب بأولئك الذين تعانقهم وتحملهم بين ذراعيك إلاّ إلى قلبك؟ قلبك، يا يسوع، هو مَنٌّ لاهوتك العَذْب (راجع العبرانيّين 9، 4) الذي تحفظه في إناء من ذهب في نفسك التي تفوق كلّ معرفة. طوبى لمن تعانقهم وتقودهم إلى هناك. طوبى لمن يُغمَرون في هذه الأعماق، وتُخبّئهم في سرّ قلبك" [95].

106. يوحِّد القدّيس بونافنتورا الخطّين الرّوحيّين حول قلب المسيح: فبينما يقدّمه على أنّه مصدر الأسرار والنّعمة، يقترح أن يصبح هذا التّأمّل علاقة صداقة، ولقاء حبّ شخصيّ.

107. من جهة، يساعدنا هذا الفكر على التّعرّف على جمال النّعمة والأسرار التي تتدفّق من ينبوع الحياة الذي هو جنب الربِّ المجروح: "لكي تتكوّن الكنيسة من جنب المسيح المـُضجَع على الصّليب، ويتِمّ الكتاب الذي يقول: "فينظرون إلى الذي طعنوه"، إذ ضربه واحد من الجنود برمح ففتح جنبه. سمحت العناية الإلهيّة بذلك، فخرج من الجرح دمٌ وماء، ثمن خلاصنا، الذي تدفّق من ينبوع القلب الخفِيّ، فأعطى أسرار الكنيسة القوّة لتمنح حياة النّعمة، وصار للذين يحيَوْن في المسيح مثل كأس مملوءة من الينبوع الحيّ الذي يتدفّق إلى الحياة الأبديّة" [96].

108. ثمّ يدعونا القدّيس بونافنتورا إلى القيام بخطوة أخرى، حتّى لا يصبح الوصول إلى النّعمة شيئًا مثل السّحر، أو نوعًا من الفيض بحسب الأفلاطونيّين الجدد، بل يكون علاقة مباشرة مع المسيح وسُكنى في قلبه، والذي يشرب هو صديق المسيح، هو قلب يحِبّ: "قومي إذن يا نفسي، صديقة المسيح، وكوني الحمامة التي تبني عشّها في جدار المغارة. وكوني العصفور الذي وجد له مأوى، ولا يكِفّ عن حراسته، وكوني اليمامة التي تخبّئ فراخ حبّها العفيف، في هذه الفتحة المقدّسة" [97].

انتشار عبادة قلب يسوع

109. شيئًا فشيئًا أخذ الجنب المجروح، حيث يقيم حبٌّ المسيح، ومنه تتدفّق حياة النّعمة، صورة القلب، خاصّة في الحياة الرّهبانيّة. نعلَم أنّ عبادة قلب المسيح لم تظهر بطُرُق متشابهة على مَرّ التاريخ، وأنّ الأوجه التي تطوّرت في العصر الحديث، والمرتبطة بخِبراتٍ روحيّة مختلفة، لا يمكن إبعادها عن سياقها وربطها بطرق القرون الوسطى، وأقلّ من ذلك، بما ورد في الكتاب المقدّس، حيث يمكننا أن نلمح بذورًا لهذه العبادة. ومع ذلك، فإنّ الكنيسة اليوم لا تترك جانبًا أيّ وجه من أوجه الخير التي أعطانا إيّاها الرّوح القدس على مرّ القرون، عالِمِين أنّه سيكون من الممكن دائمًا التّعرُّف على معنى أوضح وأكمل لبعض خصائص هذه العبادة، أو فهم وكشف أوجه جديدة لها.

110. نساء قدّيسات كثيرات روَيْنَ خِبْراتهنّ في لقائهنّ مع المسيح، وقد تميّز بالرّاحة في قلب الرّبّ، ينبوع الحياة والسّلام الدّاخليّ. مثلًا القدّيسة لوتجاردا (Lutgarda)، والقدّيسة ماتيلدا دي هاكبورن (Matilde di Hackeborn)، والقدّيسة أنجيلا دي فولينيو (Angela da Foligno)، وجوليانا دي نورويتش (Giuliana di Norwich)، هؤلاء من بين كثيرات غيرهِنّ. رَوَت القدّيسة جيرترودا دي هلفتا (Gertrude di Helfta)، وهي راهبة من راهبات السيسترسيّين (cistercense)، لحظة صلاة أسندت فيها رأسها على قلب المسيح واستمعت إلى خفقات قلبه. وفي حوار مع القدّيس يوحنّا الإنجيليّ، سألته لماذا لم يتكلّم في إنجيله عمّا شعر به عندما قام بالخبرة نفسها. وتستنتج القدّيسة جيرترودا أنّ "عذوبة خفقات القلب هذه قد حُفِظَتْ للعصر الحديث، حتّى إذا ما استمع إليها العالم الحديث الذي كبِرَ وشاخ وصار فاترًا، استطاع أن يستعيد حرارته ويتجدّد في محبّة الله" [98]. ربّما يمكننا أن نرى في هذا الكلام أنّه نذير لأزمنتنا، وتنبيه لنا لندرك كم صار هذا العالم "قديمًا" وهو في حاجة دائمة لإدراك رسالة محبّة المسيح دائمة التّجدّد. اعتُبِرَتْ القدّيسة جيرترودا والقدّيسة ماتيلدا من بين "أكثر القريبين من القلب الأقدس" [99].

111. الرّهبان الكرتوزيّون، وخاصّة بتشجيع من اللاهوتيّ لودولف من ساكسونيا (في ألمانيا)، وجدوا في عبادة قلب يسوع الأقدس طريقًا ليملأوا علاقتهم بيسوع المسيح بالمودّة والقرب. فمن يدخل من جرح قلبه يلتهب بالمحبّة. وكتبت القدّيسة كاترينا من مدينة سيينا (إيطاليا) أنّ الآلام التي تحمّلها الرّبّ يسوع لا يمكن أن نتصوّرها، لكن قلب المسيح المفتوح هو بالنّسبة لنا إمكانيّة لقاء حقيقيّ وشخصيّ مُفعَمٍ بالحبّ: "لأُظهر لكم هذا في جانبي المفتوح، حيث يتمّ اكتشاف سرّ القلب، ويبيّن أنّني أحبّكم أكثر بكثير ممّا أستطيع أن أبيّن لكم ذلك بتحمِّل آلام محدودة" [100].

112. وشيئًا فشيئًا تجاوزت عبادة قلب يسوع حياة الأديار التّأمّليّة وملأت روحانيّة معلِّمين قدّيسين ووعّاظ ومؤسِّسِي رهبنات، الذين نشروها في أقصى بقاع الأرض. [101]

113. كانت مبادرة القدّيس يوحنّا أود (Saint Jean Eudes) ذات أهمّيّة خاصّة: "بعد قيامه مع رهبانه بحملة وعظ كان لها أثر بالغ في مدينة "رين" (Rennes) في فرنسا، تمكّن من إقناع أسقف تلك الأبرشيّة بالموافقة على الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس. كانت تلك المرّة الأولى التي يُحتفَل فيها بهذا العيد رسميًّا في الكنيسة. وفيما بعد سمح أساقفة كوتانس (Coutances) وإفرو (Evreux) وبايو (Bayeux) وليزيو (Lisieux) وروان (Rouen)، بالعيد نفسه في أبرشيّاتهم بين السّنتَين 1670 و 1671" [102].

القدّيس فرنسيس دي سالِس

114. في العصور الحديثة، مساهمة القدّيس فرنسيس دي سالِس جديرة بالتّقدير. كان يتأمّل كثيرًا في قلب يسوع المفتوح، الذي يدعو إلى المكوث فيه في علاقة محبّة شخصيّة تنير أسرار الحياة. يمكن أن نرى في فكر هذا المعلِّم القدّيس كيف ظهر له قلب المسيح نداءً إلى الثّقة الكاملة وإلى عمل النّعمة السّرّي، في مواجهة مواقف التزمُّت في الأخلاق المبنيّة على بعض أعمال العبادة الخارجيّة. قدّم رؤيته للبارونة دي شانتال في هذه الكلمات: "من الواضح جدًّا لِي أنّنا لن نبقى في أنفسنا بعد الآن [...] وأنّنا سنقيم إلى الأبد في جنب المخلِّص المطعون، في الواقع، بدونه، ليس فقط لا نقدر، بل حتّى لو كنّا نقدر، لما كنّا نريد أن نعمل شيئًا" [103].

115. بالنّسبة له، كانت العبادة بعيدة كلّ البعد عن أن تصبح شكلًا من أشكال الخرافة أو تجسيدًا غير مبرّر للنّعمة، لأنّها دعوة إلى علاقة شخصيّة يشعر فيها كلّ شخص بأنّه فريد أمام المسيح، ومُعترف به في واقعه الفريد غير القابل للتّكرار، كما فكّر فيه المسيح، ومُقدّر بطريقة مباشرة وحصريّة: "هذا القلب المعبود والمحبوب جدًّا لمعلّمنا المضطرم بالحبّ الذي يعلنه لنا، وهو القلب الذي نرى فيه جميع أسمائنا مكتوبة [...] إنّه لعزاء كبير أن يحِبّنا الرّبّ كثيرًا بمودّة ويحملنا دائمًا في قلبه" [104]. كان اسمُ العَلَم (اسم الشّخص) هذا المكتوب في قلب المسيح هو الطّريقة التي حاول بها القدّيس فرنسيس دي سالِس أن يؤكّد مقدار محبّة المسيح لكلّ شخص، فليس حبُّه شيئًا تجريديًّا أو عامًّا، بل فيه دلالة شخصيّة يشعر فيها المؤمن بالتّقدير والاعتراف به: "ما أجمل هذه السّماء، حيث المخلِّص هو الشّمس وصدره ينبوع حبٍّ يشرب منه الطّوباويّون ويرتوون! يذهب كلّ واحد للتأمّل فيه، فيرى حبّه مكتوبًا فيه بأحرف من حبّ، والحبّ وحده يقدر أن يقرأها، والحبّ وحده هو الذي نقشها. يا ابنتي، ألن تكون أسماؤنا أيضًا هناك؟ بَلى، ستكون هناك بلا

116. اعتبر هذه الخبرة أمرًا أساسيًّا في الحياة الرّوحيّة، واعتبرها مثل حقائق الإيمان الكبرى: "نعم، يا ابنتي العزيزة، هو يفكّر فيكم، وليس فقط فيكم، بل في أصغر شعرة من رؤوسكم أيضًا: هذه حقيقة إيمان يجب ألاّ نشكّ فيها إطلاقًا" [106]. ينتج عن ذلك أنّ المؤمن يصبح قادرًا على أن يسلِّمَ نفسه تسليمًا تامًّا لقلب المسيح، حيث يجد الرّاحة والعزاء والقوّة: "يا إلهيّ، يا لسعادتي حين أبقى بين ذراعَيْ المخلِّص وعلى صدره. [...] ظِلّي كذا، يا ابنتي العزيزة، ومثل قدّيس يوحنّا صغير، بينما يأكل الآخرون أطعمة مختلفة على مائدة المخلِّص، ضَعي من جديد، بكلّ بساطة وثقة، وأميلي وأريحي رأسك، ونفسك، وروحك، على صدر الرّبّ الحبيب" [107]. "أرجو أن تكوني في الرّوح في مغارة اليمامة وفي جنب مخلِّصنا العزيز المطعون. [...] ما أطيب هذا الرّبّ، يا ابنتي العزيزة! وما أحبّ قلبه! لنمكُثْ هناك، في هذا المقرّ المقدّس" [108].

117. مع ذلك، بحسب تعليمه عن تقديس الحياة العاديّة، يقترح أن تكون هذه الحياة في وسط الأعمال والمهام وواجبات الحياة اليوميّة: "تسألينني كيف يجب أن تتصرّف في أعمالها اليوميّة النّفوس المنجذبة إلى الصّلاة بهذه البساطة المقدّسة والتّسليم الكامل لله؟ أجيب أنّه، ليس فقط في الصّلاة، ولكن في القيام بكلّ أعمال حياتهم، يجب أن يسيروا دائمًا بروح البساطة، وأن يتركوا ويسلِّموا أنفسهم بكاملها، وأعمالهم ونجاحاتهم إلى إرادة الله، بمحبّة كاملة وثقة مطلقة، مستسلمين لنعمة الله ولرعاية الحبّ الأزليّ الذي تكنّه لهم العناية الإلهيّة" [109].

118. لكلّ هذه الأسباب، عندما حان التّفكير في رمز يمكن أن يلخِّص رؤيته في الحياة الرّوحيّة، قال: "لقد فكّرت، إذًا، أيّتها الأمّ العزيزة، إن وافقتِ، أنّه يجب أن نتّخذ شعارًا لنا: قلب واحد مطعون بسهمَين ومحاط بإكليل من الشّوك" [110].

إعلان حبّ جديد

119. حدثت الأحداث في باراي لو مونيال (Paray-le-Monial) في نهاية القرن السّابع عشر، بتأثير روحانيّة القدّيس فرنسيس دي سالِس. رَوَت القدّيسة مارغريتا مريم ألاكوك (Margherita Maria Alacoque) ظهورات مهمّة حدثت بين نهاية كانون الأوّل/ديسمبر 1673 وحزيران/يونيو 1675. إعلان الحبّ الذي ظهر في الظّهور الأوّل الكبير أساسيّ. يقول يسوع: "إنّ قلبي الإلهيّ مشغوف بحبّ البَشَر، وبحبّك خاصّة، لدرجة أنّه لم يَعُدْ قادرًا على احتواء نيران حبّه المتّقدة فيه، فيشعر بالحاجة لأن ينشرها بواسطتك ويريد أن يظهر للبشر، حتّى يغنيهم بالكنوز الثّمينة التي سأكشفها لك" [111].

120. لخّصت القدّيسة مارغريتا مريم كلّ شيء بطريقة قويّة ومتّقدة، قالت "كشف لي عن عجائب حبّه وأسرار قلبه الأقدس التي لا يمكن تفسيرها، والتي كانت خافيَةً عليّ حتّى تلك اللحظة، التي فيها كشفها لي للمرّة الأولى، وبطريقة حقيقيّة ومحسوسة جدًّا لا تترك أيّ مجالٍ للشكّ" [112]. وفي الظّهورات اللاحقة كرّرت جمال هذه الرّسالة: "كشف لي عجائب حبّه الخالص الذي لا يمكن تفسيره، وإلى أيّ مبالغة دفعه فأحبّ البشر" [113].

121. هذا الاعتراف المتوقِّد بمحبّة يسوع، الذي نقلته إلينا القدّيسة مارغريتا مريم، يقدِّم لنا حوافز ثمينة للاتّحاد به. وهذا لا يعني أنّه يجب أن نشعر بأنّنا مُلزَمون بقبول كلّ تفاصيل هذه الطّريقة الرّوحيّة، حيث يمتزج عمل الله، كما يحدث عادة، بعناصر بشريّة مرتبطة بالرّغبات والهموم والتّصوّرات الدّاخليّة للشّخص. [114] يجب إعادة قراءة هذه الطّريقة دائمًا في ضوء الإنجيل وكلّ غنى تقليد الكنيسة الرّوحيّ، ونعترف بمدى الخير الذي قدّمته للعديد من الأخوات والإخوة. وهذا يسمح لنا بالتعرُّف على مواهب الرّوح القدس في خبرة الإيمان والمحبّة هذه. وأهمّ من التّفاصيل هو جوهر الرّسالة المنقولة إلينا والتي يمكن تلخيصها في الكلمات التي سمعتها القدّيسة مارغريتا: "هذا هو القلب الذي أحبّ البشر كثيرًا ولم يُدّخِرْ شيئًا حتّى أفنى نفسه، ليشهد على حبّه لهم" [115].

122. هذا الظّهور هو دعوة ليزداد لقاؤنا مع المسيح، بثقة مطلقة، حتّى الوصول إلى اتّحاد كامل ونهائي: "ليحِلّ قلب يسوع الإلهيّ محَلّ قلبنا، فيحيا ويعمل فينا ولنا. ولتعمل إرادته فينا كلّ ما تشاء دون مقاومة من جهتنا، وأخيرًا لتحِلّ عواطفه وأفكاره ورغباته محَلّ عواطفنا وأفكارنا ورغباتنا، ولا سيّما حبّه، فيُحِبّ نفسَه فينا ومن أجلنا. وهكذا، بما أنّ هذا القلب المحبّ هو كلّ شيء لنا في كلّ شيء، يمكننا أن نقول مع القدّيس بولس: لسنا نحن الذين نحيا، بل هو

123. في الرّسالة الأولى التي تسلّمتْها، تقدِّم لنا هذه الخبرة بطريقة أكثر شخصيّة وحِسِّيّة ومليئة بالنّار والحنان: "طلب منّي قلبي، فابتهلت إليه أن يأخذه. فأخذه ووضعه في قلبه الحبيب، وفيه أراني ذرّةً صغيرة تحترق في أتون قلبه المتّقد" [117].

124. وفي مكان آخر نلاحظ أنّ الذي يعطينا نفسه هو المسيح القائم من بين الأموات، الممجّد، والمملوء بالحياة والنّور. ويتحدّث في مرّات أخرى عن الآلام التي تحمّلها من أجلنا، ونكران الجميل الذي يجده، أمّا هنا فليس التّركيز على الدّم والجراح التي عانى منها، بل على النّور والنّار في المسيح الحيّ. جراحُ الآلام لا تختفي، بل تتحوّل إلى نور. وهكذا، يظهر هنا السّرّ الفصحيّ بكماله: "مرّةً، [...] في أثناء السّجود للقربان الأقدس، [...] يسوع المسيح، معلّمي الحبيب، حضر أمامي متألّقًا بالمجد بجروحه الخمسة تسطع مثل خمس شموس. ومن كلّ جهة من إنسانيّته المقدّسة، كانت تنطلق نيران، ولا سيّما من صدره الحبيب، الذي كان يُشبه الأتون المتّقد. بعد أن فتح صدره، أراني قلبه الحبيب، الينبوع الحيّ لهذه النّار. إذّاك كشف لي عن عجائب حبِّه الطّاهر التي لا تُدرَك، وإلى أيّ حدّ دفعه ذلك لأن يحبّ البشر، الذين لم يلقَ منهم بعد ذلك إلاّ الجحود واللامبالاة" [118].

القدّيس كْلُود دي لا كولومبيير (Saint Claude de La colombière)

125. لمـّا علِم القدّيس كْلُود دي لا كولومبيير بخبرة القدّيسة مارغريتا، أصبح على الفور مدافعًا عنها ومروّجًا لرسالتها. وكان له دور خاصّ في فهم ونشر هذه العبادة لقلب يسوع الأقدس، ولكنّه عمل على تفسيرها أيضًا على ضوء الإنجيل.

126. بعض العبارات للقدّيسة مارغريتا، إذا أسيء فهمها، يمكن أن تقود المرء إلى الثّقة المفرطة بالذّات وبالتّضحيات والتّقدمات الشّخصيّة، لكن القدّيس كْلُود بيّنَ أنّ التّأمّل في قلب المسيح، إذا كان حقيقيًّا، لا يؤدّي إلى الإعجاب بالذّات، أو بالجهود البشريّة أو إلى المجد الباطل، بل يؤدّي إلى تسليم للذّات بين يدَي المسيح، لا يمكن وصفه، ويملأ الحياة سلامًا وأمانًا وقرارًا. وقد عبّر عن هذه الثّقة المطلقة بهذه الصّلاة المعروفة:

"يا إلهيّ، أنا على قناعة تامّة أنّك تسهر على جميع الذين يرجونك، وأنّه لا يمكن أن ينقص أيّ شيء عندما نترجّى منك كلّ شيء. ولهذا قرّرت أن أعيش في المستقبل دون أيّ قلق، وأن ألقِي كلّ همومي عليك [...]. لن أفقد رجائي أبدًا، سأحتفظ به حتّى آخر لحظة في حياتي، وسيبذل كلّ شياطين الجحيم في تلك اللحظة جهودهم عبثًا لانتزاعه منّي [...] قد يريد البعض أن يجدوا سعادتهم في ثرواتهم أو مواهبهم، وقد يثق الآخرون ببراءة حياتهم، أو بأعمال التّوبة الشّديدة، أو بعدد صدقاتهم، أو بحرارة صلواتهم. أمّا أنا، يا ربّ، فكلّ ثقتي هي ثقتي نفسها، وهي الثّقة التي لم تخدع أحدًا قطّ. ولهذا فإنّي على يقين بأنّي سأكون سعيدًا إلى الأبد، لأنّي أرجو ذلك رجاءً شديدًا، ولأنّي منك أرجو، يا إلهي" [119].

127. كتب القدّيس كْلُود ملاحظة في كانون الثّاني/يناير 1677، سبقتها بعض الأسطر التي تشير إلى اليقين الذي يشعر به في رسالته: "أنا أعلَم أنّ الله يريدني أن أخدمه بالسّعي لتحقيق رغباته فيما يختصّ بالعبادة التي يُلهمُها إلى راهبة اختارها وهو يكشف لها نفسه بصورة خاصّة، وقد أراد أن يستخدم ضعفي لأساعدها. لقد ألهمت ذلك من قبل لأشخاصٍ كثيرين" [120].

128. من المهمّ أن نلاحظ أنّ في روحانيّة كْلُود دي لا كولومبيير، جمعًا موفّقًا بين الخبرة الرّوحيّة الغنيّة والجميلة للقدّيسة مارغريتا وبين التّأمّل ذي الطّابع العمليّ في الرّياضة الرّوحيّة للقدّيس أغناطيوس. كتب في بداية الأسبوع الثّالث من شهر الرّياضة الرّوحيّة: "أمران أثّرا فيّ بطريقة غير عاديّة. الأوّل هو الطّريقة التي يُظهر بها يسوع نفسه للذين يبحثون عنه. قلبه غارق في مرارة رهيبة، كلّ الأهواء ذائبة فيه، والطّبيعة كلّها مضطربة. ومع كلّ هذه الاضطرابات، وكلّ هذه التّجارب، يتّجه القلب مباشرة إلى الله، ولا يتردّد في اتّخاذ الموقف الذي تلهمه إيّاه الفضيلة، بل أسمى الفضائل. والأمر الثّاني هو موقف هذا القلب من يهوذا الذي خانه، والرّسل الذين تركوه بجبن، والكهنة وغيرهم من المسؤولين عن الاضطهاد الذي يتعرّض له، كلّ ذلك لم يقدر على إثارة أدنى شعور بالكراهية أو السّخط. أنا أتصوّر القلب الخالي من المرارة، ومن كلّ حدّة، والمملوء بالحنان الحقيقي تجاه أعدائه" [121].

القدّيس شارل دي فوكو والقدّيسة تريزا الطّفل يسوع

129. القدّيس شارل دي فوكو والقدّيسة تريزا الطّفل يسوع، أعادوا، من دون أيّ ادّعاء، صياغة بعض عناصر العبادة لقلب المسيح، فساعدونا على فهمها بطريقة أكثر أمانة للإنجيل. لننظر الآن كيف ظهرت هذه العبادة في حياتهم. وسنعود إليهما في الفصل التّالي لنبيّن أصالة البعد الإرساليّ الذي طوّره كلاهما بطرق مختلفة.

يسوع محبّة

130. في لوي (Louye)، كان القدّيس شارل دي فوكو يزور القربان الأقدس مع ابنة عمّه مدام دي بوندي (Madame de Bondy). وفي أحد الأيّام أرَتْه صورة قلب يسوع الأقدس. [122] كانت ابنة العمّ هذه عاملًا أساسيًّا في اهتداء شارل، كما يعترف هو نفسه: "بما أنّ الله جعلكِ الأداة الأولى لرحمته لي، فإنّ كلّ مراحمه أتت بك. لو لم تَهدِيني أنت، ولم تسيري بي إلى يسوع ولم تعلّميني شيئًا فشيئًا، وكلمة كلمة تقريبًا، كلّ ما هو تقوى وصلاح، هل أكون حيث أنا اليوم؟" [123]. ولكن ما نبّهَتْ فيه بالتّحديد هو الإدراك المتّقد لمحبّة يسوع. كلّ شيء كان في هذا. هذا كان الشّيء الأهمّ. وكلّ هذا تمركز بصورة خاصّة في عبادة قلب يسوع الأقدس، حيث وجد رحمة لا حدود لها: "نرجو الرّحمة اللامتناهية من الذي جعَلْتِني أعرفُ قلبه الأقدس" [124].

131. ثمّ سيساعده مرشده الرّوحي، الأب هينري هوفلين (Don Henri Huvelin)، على التّعمّق في هذا السّرّ المقدّس: "هذا القلب المبارك الذي كلّمْتِني عليه مرارًا" [125]. في 6 حزيران/يونيو 1889، كرّس شارل نفسه للقلب الأقدس، الذي وجد فيه الحبّ المطلق. يقول للمسيح: "لقد ملأتني من تلك الخيرات لدرجة أنّه يبدو لِي من الجحود لقلبك أن أشكّ أنّه مستعدّ أن يملأني من كلّ خير، مهما كان عظيمًا، وأنّ حبّك وسخاءك لا حدود لهما" [126]. وهو سيكون النّاسك "باسم القلب الأقدس" [127].

132. في 17 أيّار/مايو 1906، وهو اليوم نفسه الذي صار فيه الأخ شارل غير قادر على أن يقيم القدّاس وحده، كتب هذا الوعد: "سأجعل قلب يسوع يحيا فيّ، بحيث لن أكون أنا الذي أحيا، بل قلب يسوع يحيا فيّ، كما كان في النّاصرة" [128]. صداقته مع يسوع، من القلب إلى القلب، لم يكن فيها أيّ شيء من التّعبّد الذّاتي المصطنع. كانت أصل تلك الحياة المجرّدة في النّاصرة التي أراد شارل أن يقلّد بها المسيح ويصير مثله. تلك العبادة المليئة بالحنان لقلب يسوع كان لها عواقب عمليّة جدًّا في أسلوب حياته. وحياته هو في النّاصرة تغذّت من تلك العلاقة الشّخصيّة مع قلب المسيح.

القدّيسة تريزا الطّفل يسوع

133. مثل القدّيس شارل دي فوكو، تنفّسَتْ وارتوت القدّيسة تريزا الطّفل يسوع من العبادة الكبرى التي غمرت فرنسا في القرن التّاسع عشر. كان الأب ألمير بيشون (Almire Pichon) المرشد الرّوحيّ لعائلتها، ويُعتبر رسولًا كبيرًا للقلب الأقدس. إحدى أخوات تريزا أخذت في الرّهبنة اسم "مريم القلب الأقدس"، وكان الدّير الذي دخلته القدّيسة تريزا مكرّسًا للقلب الأقدس. ومع ذلك، فإنّ عبادتها اتّخذت بعض المِيزات الخاصّة، تجاوزت الأشكال المنتشرة في ذلك العصر.

134. لمـّا كان عمرها خمس عشرة سنة، وجدت طريقة لتثبّت علاقتها مع يسوع، "الذي يخفق قلبه في انسجام مع قلبي" [129]. وبعد سنتَين، تكلّموا معها عن قلب مكلّل بالأشواك، فأضافت في رسالة: "تعلَمين أنّي لا أنظر إلى القلب الأقدس مثل الجميع، أنا أفكّر أنّ قلب عروسي هو فقط لي، كما أنّ قلبي هو فقط له، ولهذا أتحدّث معه في العزلة حديثًا عذبًا، حديث القلب إلى القلب، في انتظار أن أشاهده يومًا وجهًا لوجه" [130].

135. تكلّمت تريزا في شعر لها عن معنى عبادتها، التي هي صداقة وثقة أكثر منها اتّكالًا على تضحياتها:

"أبحث عن قلبٍ مضطرم بالحنان

يكون سندًا لي من دون بدل،

يُحِبُّ كلّ شيء فيّ حتّى ضعفي،

ولا يتركني، لا ليلًا ولا نهارًا [...].

أريد إلهًا يكون مع طبيعتي

أخًا لي ويقدر أن يتألّم [...].

أعرف جيّدًا أنّ بِرّنا كلّه

لا قيمة له في عينيك [...].

فأنا أختار حبّك المحرق

مطهرًا لِي، يا قلبَ إلهي!" [131]

136. لعلّ أهمّ كتابة لها لفهم معنى عبادتها لقلب المسيح هي الرّسالة التي كتبَتْها ثلاثة أشهر قبل موتها إلى صديق لها، موريس بيلير (Maurice Bellière): "عندما أرى المجدليّة تتقدّم أمام المدعُوّين الكثيرين، تبلّل بدموعها قدمَيْ المعلِّم المعبود، وهي تلمسه للمرّة الأولى، أشعر بأنّ قلبها فهم هاوية الحبّ والرّحمة في قلب يسوع، وبأنّها مهما كانت خاطئة، فإن هذا القلب المحِبّ مستعِدٌّ، ليس فقط ليغفر لها، بل ليُغدِقَ عليها أيضًا نعم حياته الإلهيّة الحميمة، ويرفعها إلى أعلى قمم المشاهدة. آه! يا أخي الصّغير العزيز، منذ أن أُعطي لِي أن أفهم هكذا حبّ يسوع، أعترف بأنّه طرد من قلبي كلّ خوف. إنّ ذكرى أخطائي تذلّني، وتحملني على ألاّ أعتمد على قوّتي التي ليست إلاّ ضعفًا. بل أكثر من ذلك، إنّ هذه الذّكرى تحدّثني عن الرّحمة والحبّ" [132].

137. أصحاب العقول المتزمّتة في الأخلاق، الذين يدّعون التّحكّم بالرّحمة والنّعمة، قد يقولون إنّ تريزا يمكنها أن تقول هذا لأنّها قدّيسة، لكن الخاطئ لا يستطيع أن يقول ذلك. وبذلك ينزعون من روحانيّة تريزا حداثتها الجميلة التي تُظهر قلب الإنجيل. مع أنّ هذا الموقف صار منتشرًا كثيرًا، مع الأسف، في بعض الأوساط المسيحيّة، وهو ادّعاء تقييد الرّوح القدس في إطار يسمح بوضع كلّ شيء تحت المراقبة. لكن معلِّمة الكنيسة الحكيمة هذه تفنّدهم وتعارض هذا التّفسير الاختزاليّ بهذه الكلمات الواضحة جدًّا: "لو ارتكبت جميع الجرائم الممكنة، إنّي أحتفظ بالثّقة نفسها. إنّي أشعر بأنّ كلّ هذا العدد الكبير من الإهانات هو مثل قطرة ماء تُلقَى في مجمرة مشتعلة" [133].

138. أرسلت إلى الرّاهبة الأخت ماريّا، التي أثنت عليها لمحبّتها الكبيرة لله واستعدادها للاستشهاد أيضًا، رسالة مطوّلة هي اليوم مرجع في تاريخ الحياة الرّوحيّة. ينبغي قراءة هذه الرّسالة ألف مرّة لعمقها ووضوحها وجمالها. فيها تساعد تريزا راهبة "القلب الأقدس" على عدم تركيز هذه العبادة على جانب الأوجاع، كما يفهم البعض أنّ التّعويض يعطي الأولويّة لواجب التّضحيات أو التّشدّد الأخلاقيّ. أمّا هي فتلخّص كلّ شيء في الثّقة باعتبارها أفضل تقدمة تُرضي قلب المسيح: "رغبتي في الاستشهاد هي لا شيء، إنّها لا تمنحني الثّقة اللامحدودة التي أشعر بها في قلبي. في الواقع، المكافآت الرّوحيّة تجعل الإنسان غير عادل إذا اعتمد عليها ووجد فيها رضاه، واعتقد أنّ هذا شيء كثير [...] ما يسُرّ يسوع هو أن يراني أُحِبّ صِغَري وفقري، ورجائي الأعمى في رحمته. هذا هو كنزي الوحيد [...] إن أردتِ أن تجدي الفرح أو الانجذاب في الألم، فأنت تبحثين عن نفسك وعزائك [...] يجب أن تفهمي أنّك لكي تحبّي يسوع، ولتكوني ضحيّة حبّه، كلّما زاد ضعفك، بلا رغبات أو فضائل، زدتِ قربًا من حياة هذا الحبّ الذي يذيب ويحوّل [...] كم أتمنّى أن أجعلك تفهمين ما أشعر به... الثّقة، لا شيء غير الثّقة، هي التي تقودنا إلى الحبّ" [134].

139. في العديد من كتاباتها، يتّضح معارضتها لطرق روحيّة تركِّز أكثر من اللازم على الجهد البشريّ، وعلى استحقاق الفرد، وتقديم التّضحيات، وعلى بعض المكاسب، "لدخول السّماء". بالنّسبة لها، "ليس الاستحقاق في العمل الكثير ولا

140. كتبت إلى الأخت ليونى ما يلي: "أؤكّد لكِ أنّ الله أفضل ممـّا تعتقدين. إنّه يكتفي بنظرة، أو بتنهُّدة حُبّ... أمّا أنا فأجد الكمال سهل الممارسة جدًّا، لأنّي فهمت أنّه يكفي أن أخذ يسوع بالقلب... انظري إلى ولدٍ صغير أغضب أمّه قبل قليل [...] إن أتى إليها باسطًا ذراعَيه الصّغيرتَين، باسمًا وقائلًا: "عانقيني، ولن أكرّر ذلك أبدًا". فهل يمكن لأمّه ألاّ تشدّه إلى صدرها بحنان، وتنسى حِيَلَه الطّفوليّة؟ ومع ذلك، فهي تعلَم أنّ صغيرها العزيز سيعيد الكَرّة في أقرب فرصة. لكن لا بأس، فإن عاد واستمالها بالقلب فهو لن يُعاقب أبدًا" [136].

141. وفي رسالة إلى الأب أدولف رولان كتبت: "طريقي كلّه طريق ثقة وحبّ، ولا أفهم النّفوس التي تخاف صديقًا حنونًا بهذا القدر. أحيانًا، عندما أقرأ بعض المؤلّفات الرّوحيّة التي تُظهر الكمال محفوفًا بألف عائق ومحاطًا بأوهام لا تحصى، عقلي المسكين يتعب سريعًا جدًّا، فأُغلق الكتاب العِلمي الذي يصدّع رأسي ويجفّف قلبي، وآخذ الكتاب المقدّس، فيظهر لي كلّ شيء مشرقًا، وكلمة واحدة تفتح أمام روحي آفاقًا بلا حدود، ويبدو لي الكمال سهلًا: أرى أنّه يكفي أن أعترف بأنّي لا شيء، وأستسلم مثل طفل بين ذراعَي الله" [137].

142. وتوجّهت إلى الأب موريس بيلير، بخصوص أحد الوالدين، قالت: "لا أعتقد أنّ قلب الأب السّعيد يستطيع أن يقاوم ثقة ابنه به، وهو يعرف صدقه ومحبّته. ومع ذلك، فالأب لا يجهل أنّ الابن سيقع في الأخطاء عينها أكثر من مرّة، لكنّه مستعدّ دائمًا أن يغفر له، إن ظلّ الابن يحبّه" [138].

أصداء في الرّهبنة اليسوعيّة

143. رأينا كيف ربط القدّيس كُلُود دي لا كولومبيير بين خبرة القدّيسة مارغريتا الرّوحيّة وبين الرّياضة الرّوحيّة للقدّيس أغناطيوس. أعتقد أنّ مكانة القلب الأقدس في تاريخ الرّهبنة اليسوعيّة تستحقّ أن نذكرها بإيجاز.

144. اقترحت روحانيّة الرّهبنة اليسوعيّة دائمًا "معرفة حميمة للرّبّ يسوع لكي نحِبّه ونتبعه بصورة أفضل" [139]. يدعونا القدّيس أغناطيوس في رياضته الرّوحيّة إلى أن نضع أنفسنا أمام الإنجيل الذي يقول لنا إنّ "جنب [يسوع] طُعِنَ بحربة فخرج منه دم وماء" [140]. الذي يقوم بالرّياضة الرّوحيّة عندما يجد نفسه أمام جنب المسيح المطعون، يقترح عليه أغناطيوس أن يدخل في قلب المسيح. إنّها طريقة لإنضاج القلب على يد "معلِّم خبير بالعواطف"، بحسب عبارة للقدّيس بطرس فابر (Pietro Favre) في إحدى رسائله إلى القدّيس أغناطيوس. [141] ويقول القول نفسه الأب خوان ألفونسو دي بولانكو (Padre Juan Alfonso de Polanco) كاتب سيرة القدّيس أغناطيوس: "إنّه [الكاردينال كورتاريني] الذي وجد في الأب أغناطيوس معلِّمًا خبيرًا في العواطف" [142]. المحادثات التي يقترحها القدّيس أغناطيوس هي جزء أساسيّ من تربية القلب، لأنّنا نسمع ونتذوّق بالقلب رسالة الإنجيل، ونتكلّم بها مع الرّبّ يسوع. يقول القدّيس أغناطيوس إنّه يمكننا أن نقول كلّ شيء ليسوع، ونطلب مشورته فيها. كلّ من يقوم بهذه الرّياضة يمكن أن يدرك أنّ فيها حوارًا من القلب إلى القلب.

145. يختتم القدّيس أغناطيوس تأمّلاته عند أقدام المصلوب، ويدعو الذي يقوم بالرّياضة الرّوحيّة إلى أن يتوجّه إلى الرّبّ يسوع المصلوب بمودّة كبيرة، وأن يسأله "كما يسأل صديقٌ صديقَه، أو خادمٌ سيّدَه" ماذا يجب أن يفعل من أجله. [143] تبلغ مسيرة الرّياضة الرّوحيّة قمّتها، في "التّأمّل لبلوغ الحبّ"، ومنه يتدفّق الشّكر وتقديم "الذّاكرة والعقل والإرادة" للقلب الذي هو ينبوع وأصل كلّ خير. [144] معرفتنا الدّاخليّة للرّبّ يسوع هذه، لا تُبنى بقدراتنا وجهودنا، بل تُطلَب عطيّةً من الله.

146. هذه الخبرة نفسها هي على أساس سلسلة طويلة من الرّهبان اليسوعيّين الذين أشاروا إشارة صريحة إلى قلب يسوع، أمثال القدّيس فرنسيس بورجا (Francesco Borgia)، والقدّيس بطرس فابر (Pietro Favre)، والقدّيس ألونسو رودريغيس (Alonso Rodriguez)، والأب ألفاريز دي باز (Álvarez de Paz)، والأب فينتشينسو كارافا (Vincenzo Carafa)، والأب كاسبر دروزبيكي (Kasper Drużbicki)، وعديدين آخرين. في سنة 1883، أعلن اليسوعيّون "أنّ الرّهبنة اليسوعيّة تقبل وتستقبل بروح تفيض بالفرح والشّكر، الثّقل العذب الذي ألقاه عليها ربّنا يسوع المسيح وهو ممارسة وتعزيز ونشر العبادة لقلبه الإلهيّ" [145]. في كانون الأوّل/ديسمبر 1871، كرّس الأب بيتر جان بيكس (Pieter Jan Beckx) الرّهبنة لقلب يسوع الأقدس، وشهادة على ذلك، وأن هذا التّكريس لا يزال أمرًا حاضرًا

147. لمـّا دعا القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني "جميع أعضاء الرّهبنة إلى تعزيز هذه العبادة التي تتّفِق أكثر من أيّ وقت مضى مع توقّعات عصرنا"، فعل ذلك لأنّه أدرك الرّوابط الوثيقة بين العبادة لقلب الرّبّ وروحانيّة القدّيس أغناطيوس، لأنّ "الرّغبة في "معرفة حميمة للرّبّ يسوع" و"مواصلة الحوار" معه، من القلب إلى القلب، هي، بفضل الرّياضات الرّوحيّة، ميزة الدّيناميكيّة الرّوحيّة والرّسوليّة الإغناطيّة: كلّ شيء في خدمة محبّة قلب الله" [147].

تدفّق غزير من الحياة الدّاخليّة

148. تظهر عبادة قلب المسيح في المسيرة الرّوحيّة لقدّيسين كثيرين مختلفين، وتتّخذ هذه العبادة في كلّ واحد منهم وجهًا جديدًا. مثلًا، قال القدّيس منصور دي بول إنّ ما يريده الله هو القلب: "الله يطلب أوّلًا القلب، القلب: هذا هو الشّيء الرّئيسيّ. لماذا الذي لا يملك شيئًا يمكنه أن يستحقّ أكثر من الذي يملك الكثير ويزهد فيه؟ لأنّ الذي لا يملك شيئًا، يذهب إليه بمودّة أكثر. وهذا ما يريده الله بشكلٍ خاصّ" [148]. وهذا يفترض قبول اتّحاد قلبنا بقلب المسيح: "الأخت التي تبذل كلّ ما في وسعها لتهيّئ قلبها لأن يتّحد مع قلب الرّبّ [...] كم وكم من البركات ستنال من الله!" [149].

149. أحيانًا نميل إلى اعتبار سرّ المحبّة هذا وكأنّه أمر حسَنٌ من الماضي، ومثل روحانيّة جميلة لأزمنة أخرى، بل يجب أن نتذكّر دائمًا من جديد، كما قال أحد القدّيسين المـُرسَلين، أنّ "هذا القلب الإلهيّ الذي تحمّل أن يطعنه عدُوٌّ بحربته ففاضت من هذا الجرح المقدّس الأسرار التي تكوّنت بها الكنيسة، لم يتوقّف قطّ عن الحبّ" [150]. وقدّيسون آخرون في الآونة الأخيرة، مثل القدّيس بيو من بيترالشينا (Pio da Pietralcina)، والقدّيسة تريزا من كلكوتا وغيرهم كثيرون، تكلّموا عن عبادة حارّة لقلب المسيح. وأريد أن أذكر خبرة القدّيسة فاوستينا كوالسكا (Faustina Kowalska) التي تقدِّم لنا عبادة قلب المسيح مع تركيز شديد على الحياة المجيدة للمسيح القائم من بين الأموات، وعلى الرّحمة الإلهيّة. في الواقع، بناءً على خبرة هذه القدّيسة، واعتمادًا على الإرث الرّوحيّ الذي تركه الأسقف القدّيس جوزيف سيباستيان بيلكزار (San Józef Sebastian Pelczar 1842-1924) [151]، ربط القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني بصورة وثيقة تفكيرَه في الرّحمة الإلهيّة بالعبادة لقلب المسيح: "يبدو أنّ الكنيسة تجاهر وتجلّ رحمة الله بطريقة خاصّة عندما تتوجّه إلى قلب المسيح. وبالفعل، إنّ اقترابنا من المسيح في سرّ قلبه، يسمح لنا بالتوقّف عند هذه النّقطة [...] كشف حبّ الآب الرّحيم وهو المضمون الجوهريّ لرسالة ابن الانسان المسيحانيّة" [152]. قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني نفسه، في إشارة إلى القلب الأقدس، بطريقة شخصيّة جدًّا: "لقد كلّمني منذ شبابي" [153].

150. إنّ أهمّيّة العبادة لقلب المسيح اليوم تَظهَر بصورة خاصّة، في عمل البشارة والتّربية في رهبنات عديدة، نسائيّة ورجاليّة، وقد اتّسمت منذ نشأتها بهذه الخبرة الرّوحيّة الكريستولوجيّة. أن نذكرها هنا أمر صعب لا ينتهي. لِنَرَ فقط مثالَين بصورة عشوائيّة: "وجد المؤسّس [القدّيس دانيال كومبوني] القوّة للقيام بعمل البشارة في سرّ قلب يسوع" [154]. "وبدافع من محبّة قلب يسوع، نحاول مساعدة النّاس على النّمو في كرامتهم الإنسانيّة، كأبناء وبنات الله، على أساس الإنجيل وما يطلبه من المحبّة والغفران والعدل والتّضامن مع الفقراء والمهمّشين" [155]. وبالمثل، فإنّ المزارات المكرّسة لقلب المسيح والمنتشرة في العالم هي مصدر جذّاب للرّوحانيّة والحماس. إلى جميع الذين يشاركون بطريقة أو بأخرى في أماكن الإيمان والمحبّة هذه، أمنح بركتي الأبويّة.

العبادة في التّعزية

151. جُرحُ الجنب، الذي تدفّق منه الماء الحيّ، لا يزال مفتوحًا في الرّبّ القائم من بين الأموات. هذا الجرح الكبير الذي أحدثته الحَربَة والجراح التي سبّبها إكليل الشّوك التي تظهر غالبًا في صور قلب يسوع الأقدس، لا يمكن فصلها عن هذه العبادة. في الواقع، فيها نتأمّل في محبّة يسوع الذي كان قادرًا أن يبذل نفسه حتّى النّهاية. قلب الرّبّ القائم من بين الأموات يحفظ علاماتِ بذلِ ذاتِه حتّى النّهاية، متحمِّلًا آلامًا شديدة من أجلنا. لذلك، من المحتّم إلى حدّ ما أن يرغب المؤمن أن يُجيب ليس فقط على هذا الحبّ الكبير، بل أيضًا مع الألم الذي قَبِلَ المسيح أن يتحمّله مع هذا الحبّ الكثير.

معه على الصّليب

152. يجدر بنا أن نستعيد هذا التّعبير عن الخبرة الرّوحيّة الذي تطوّر حول قلب المسيح أي الرّغبة الدّاخليّة في تعزيته. لن أتناول الآن الكلام على التّعويض أو التّكفير، الذي أرى مكانه أنسب في سياق البعد الاجتماعيّ لهذه العبادة، والذي أشرحه في الفصل التّالي. الآن أودّ فقط أن أركّز على الرّغبة التي تَظهر غالبًا في قلب المؤمن المحبّ عندما يتأمّل في سرّ آلام المسيح، وبعيشه ليس فقط سرًّا يتذكّره، بل يصير بالنّعمة شيئًا حاضرًا فيه، وأكثر من ذلك، يحملنا هذا السّرّ إلى أن نكون نحن حاضرين بصورة سرّيّة في لحظة الفداء. إن كان الحبيب هو الأهمّ فكيف إذًا لا نريد أن نعزّيه؟

153. حاول البابا بيوس العاشر أن يجعل لهذه الخبرة أساسًا متينًا، ودعانا إلى أن نعترف بأنّ سرّ الفداء بآلام المسيح، بنعمة الله، يتجاوز كلّ مسافات الزّمان والمكان، فإذا بذل ذاته على الصّليب بسبب خطايا المستقبل، فإنّ خطايانا اليوم، وأعمالنا المقدّمة لتعزيته، تتجاوز الزّمن وتصل إلى قلبه المجروح: "فإن كانت نفس يسوع، بسبب خطايانا المستقبليّة، والتي رآها مسبقًا، قد حزنت حتّى الموت، فلا شكّ أنّه شعر أيضًا ببعض العزاء منذ ذلك الحين من تعويضنا، لمّا ظهر له الملاك من السّماء (لوقا 22، 43) ليعزّي قلبه المنهك من الحزن والقلق. وهكذا، حتّى الآن، بهذه الطّريقة العجيبة والحقيقيّة، يمكننا ويجب علينا أن نعزّي هذا القلب الأقدس، المجروح باستمرار بسبب خطايا النّاس ونكرانهم له" [156].

أسباب القلب

154. قد يبدو أنّ هذا التّعبير عن العبادة ليس له الدّعم اللاهوتيّ الكافي، لكن في الحقيقة القلب له أسبابه. "حسّ المؤمنين" ينتبه إلى أنّه يوجد هنا شيء سرّيّ يتجاوز منطقنا البشريّ، وأنّ آلام المسيح ليست فقط حادثة من الماضي: بل يمكننا المشاركة فيها بالإيمان. أن نتأمّل في بذل المسيح ذاتَه على الصّليب، بالنّسبة لتقوى المؤمنين، هو شيء أكبر من مجرّد ذكرى بسيطة. وهذه حقيقة راسخة في اللاهوت. [157] ويضاف إلى ذلك إدراكنا خطيئتنا التي حملها على كتفَيه المجروحتَين، وعدم استحقاقنا لهذا الحبّ الكثير، الذي يفوقنا دائمًا بلا حدود.

155. وفي كلّ الحالات، نسأل أنفسنا كيف يمكن أن ننظر إلى المسيح الحيّ القائم من بين الأموات، كامل السّعادة، وفي الوقت نفسه نعزّيه في آلامه. لنفكّر في هذا الواقع أنّ قلب يسوع القائم من بين الأموات يحفظ جرحه ذِكرَى ثابتة، وأنّ عمل النّعمة يُثير فينا خبرة ليست محصورة كلّها في الزّمن. هذان الأمران يتيحان لنا بأن نعترف بأنّنا أمام طريق صوفيّة تتجاوز جهود العقل، وتعبّر عمّا تلهمنا إيّاه كلمة الله نفسها. "وكتب البابا بيوس الحادي عشر: كيف يمكن القول إنّ المسيح يملك سعيدًا في السّماء إن كان من الممكن تعزيته بهذه الأعمال التعويضيّة؟ نقول مع أغسطينس: "أعط نفسًا تحبّ فتفهم ما أقول" (*في إنجيل يوحنّا*، XXVI، 4)، هذه كلمات تردّ بالتّحديد على ما نريد. في الواقع، كلّ نفس، متّقدة حقًّا بمحبّة الله، إن نظرَتْ إلى الماضي، وتأمّلت، رأتْ يسوع المتألّم من أجل الإنسان، الحزين، في وسط الآلام الخطيرة، "من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا"، آلامٍ وقلق وعتاب. لقد "سُحِقَ بِسَبَبِ آثامِنا" (أشعيا 53، 5)، وهو الذي يشفينا بجراحه. وأمام كلّ هذا، كلّما دخلت النّفوس التّقيّة في العمق، رأت بوضوح أنّ خطايا البشر التي ارتكبوها في كلّ زمن، كانت سببًا في تسليم ابن الله إلى الموت" [158].

156. يجب أن نأخذ بعين الاعتبار تعليم البابا بيوس الحادي عشر. في الواقع، عندما يذكر الكتاب المقدّس أنّ المؤمنين الذين لا يعيشون حسب إيمانهم فإنّهم "يَصلِبونَ ابنَ اللهِ ثانِيَةً" (العبرانيين 6، 6)، أو عندما أتحمّل الآلام من أجل الآخرين فإنّي "أُتِمُّ في جَسَدِي ما نَقَصَ مِن شَدائِدِ المسيح" (قولسي 1، 24)، أو أنّ المسيح في آلامه صلّى ليس فقط من أجل تلاميذه في ذلك الوقت، بل من أجل "الّذينَ يُؤمِنونَ بِه عن كلامِهِم" (يوحنّا 17، 20)، كلّ هذا الكلام من الكتاب المقدّس يحطّم أنماط فكرنا المحدودة. هذا كلام يبيّن لنا أنّنا لا يمكن أن نقول هذا ماضٍ وهذا جاء بعده ولا رباط بينهما، وفكرنا لا يعرف أن يفسّر ذلك. الإنجيل، في أوجهه المختلفة، ليس فقط لنتأمّل فيه أو نتذكّره، بل يجب أن نعيشه، سواء في أعمال المحبّة أو في الخبرة الدّاخليّة، وهذا ينطبق بشكل خاصّ على سرّ موت المسيح وقيامته من بين الأموات. الفصل بين الأزمنة الذي يستخدمه عقلنا لا يعبّر عن حقيقة هذه الخبرة الإيمانيّة، حيث المسيح المتألّم، وفي الوقت نفسه، القوّة والعزاء والصّداقة التي نقدّمها للرّبّ القائم من بين الأموات.

157. لنرَ إذًا وَحدة السّرّ الفصحيّ، في وجهَيْهِ غير المنفصلَين واللذين يضيء كلّ واحد منهما الآخر. هذا السّرّ الواحد،

النّدم

158. الرّغبة التي لا يمكن إلغاؤها في تعزية المسيح، والتي تبدأ بألَمنا عندما نتأمّل في ما تألّمه من أجلنا، تتغذّى أيضًا من الاعتراف الصّادق بعبوديّاتنا الكثيرة، وتعلّقنا بأمور شتّى، وعدم فرحنا بالإيمان، وسَعينا وراء أمور فانية، وبالإضافة إلى خطايانا العمليّة، عدم استجابة قلبنا لمحبّته ومخطّطه. إنّها خبرة تطهّرنا، لأنّ الحبّ يحتاج إلى تنقية الدّموع التي تصيّرُنا في النّهاية أكثر عطشًا لله وأقلّ هوسًا بأنفسنا.

159. وهكذا نرى أنّه كلّما تعمّقت الرّغبة في تعزية الرّبّ يسوع، تعمّق النّدم في قلب المؤمن، وهو "ليس الشّعور بالذّنب الذي يلقينا على الأرض، ولا هو وسواس يشلّنا، بل هو دافع خَيّرٌ يضطرم في داخلنا ويشفي، لأنّ القلب عندما يرى الشّرّ في نفسه ويعترف بأنّه خاطئ، ينفتح ويقبل عمل الرّوح القدس، الماءَ الحيّ الذي يهزّه ويجعل الدّموع تنهمر على وجهه [...]. ولا هو نوع من التّوبة العاطفيّة، كما نميل غالبًا إلى ذلك [...]. بل أن نذرف دموع النّدم يعني أن نندم ندامة جادّة لأنّنا أحزنّا الله بالخطيئة، ويعني أن نعترف بأنّنا مدينون دائمًا ولا فضل لنا [...]. كما تحفر قطرة الماء الحجر، هكذا تحفر الدّموع شيئًا فشيئًا القلوب القاسية. بهذه الطّريقة نشهد معجزة الحزن، الحزن الجيّد الذي يؤدّي إلى العذوبة [...]. النّدم ليس ثمرة جهودنا، بل هو نعمة ويجب أن نطلبها في الصّلاة" [159]. هو أن نطلب "الألم مع المسيح المتروك، والعذاب مع المسيح المعذّب، والدّموع، والألم الحميم من أجل الألم الكبير الذي عاناه المسيح من أجلي" [160].

160. لذلك أطلب ألاّ يستخفّ أحد من عبارات الحرارة في إيمان شعب الله المقدّس والأمين، الذي يسعى في تقواه الشّعبيّة إلى أن يعزّي المسيح. وأدعو كلّ واحد إلى أن يسأل نفسه أليس في هذه العبادة الشّعبيّة عقلانيّة، وحقيقة، وحكمة أكثر من بعض مظاهر هذا الحبّ الذي يسعى إلى أن يعزّي الرّبّ يسوع بأعمال فيها برود وبُعدٌ وحسابات بشريّة، نقوم بها نحن الذين نزعم أنّ لنا إيمانًا فيه عقلانيّة وعمق ونضج أكثر.

نعزّيه فنجد عزاءنا

161. في تأمّلنا في قلب المسيح، الذي بذل نفسه من أجلنا حتّى النّهاية، نجد عزاءنا. الألم الذي نشعر به في قلوبنا يخلق فينا الثّقة الكاملة، وفي النّهاية ما يبقى هو الشّكر والحنان والسّلام، وتبقى محبّته التي تملك على حياتنا. فالنّدم "لا يسبّب القلق والاضطراب، بل يخفّف أثقال النّفس، لأنّه يعالج جرح الخطيئة، ويجعلنا مستعدّين لاستقبال حنان الرّبّ يسوع هناك حيث خطيئتنا" [161]. وآلامنا تتّحد مع آلام المسيح على الصّليب، لأنّنا عندما نقول إنّ النّعمة تسمح لنا بأن نتخطّى كلّ المسافات، فهذا يعني أيضًا أنّ المسيح، عندما تألّم، اتّحد بكلّ آلام تلاميذه عبر التاريخ. وهكذا، إن تألّمنا، يمكننا أن نختبر التّعزية الدّاخليّة حين نعرف أنّ المسيح نفسه يتألّم معنا. نريد أن نعزّيه، فنجد العزاء لأنفسنا.

162. وفي لحظة ما، في تأمّل القلب المؤمن، يجب أن يُسمَعَ فينا نداء االله الصّارخ: "عَزُّوا عَزُّوا شَعْبِي، يَقولُ إِلهُكم" (أشعيا 40، 1). وتتبادر إلى ذهننا كلمات القدّيس بولس الذي يذكّرنا بأنّ الله يعزّينا "لِنَستَطيعَ، بما نَتَلقّى نَحنُ مِن عَزاءٍ مِنَ الله، أَن نُعَزّيَ الّذينَ هُم في أَيّةِ شِدّةٍ كانَت" (2 قورنتس 1، 4).

163. وهذا يدعونا الآن إلى أن نحاول التعمُّق في أوجه العبادة الحقيقيّة لقلب المسيح، في الجماعة المؤمنة، وفي المجتمع، وفي الإرساليّات. في الواقع، يقودنا قلب المسيح إلى الآب، وفي الوقت نفسه يرسلنا إلى الإخوة. وفي ثمار الخدمة والأخوّة والرّسالة التي يصنعها قلب المسيح من خلالنا، تتمّ إرادة الآب. وبهذه الطّريقة نصل إلى نهاية الدّائرة: "أَلَا إِنّ ما يُمَجّدُ بِه أَبِي أَن تُثمِروا ثَمَرًا كثيرًا" (يوحنّا 15، 8).

الفصل الخامس

الحبّ بالحبّ

164. في الخبرات الرّوحيّة للقدّيسة مارغريتا مريم، مع إعلانها المتّقد لمحبّة يسوع، نجد أيضًا صدًى داخليًّا يدعونا إلى

شكوى وطلب

165. منذ ظهور يسوع الثّاني الكبير للقدّيسة مارغريتا، عبّر لها عن ألمه لأنّ حبّه الكبير للبشر "يقابله عدم العرفان بالجميل واللامبالاة"، "والبرود في التّعامل والرّفض". "وهذا – يقول الرّبّ يسوع – يجعلني أتألّم أكثر من كلّ ما عانيته في آلامي" [162].

166. تكلّم يسوع على عطشه لأن يكون محبوبًا، وأظهر لنا أنّ قلبه ليس قلبًا غير مبالٍ أمام ردّ فعلنا على رغبته: "أنا عطشان، وعطشًا شديدًا لأن يحبّني النّاس في سرّ القربان الأقدس، لدرجة أنّ هذا العطش يكاد يفنيني. ومع ذلك، لا أجد من يسعى، حسب رغبتي، لأن يروي عطشي، ويُبادلني حبّي" [163]. طَلَبُ يسوع هو الحبّ. عندما يكتشف قلب المؤمن هذا، فإنّ الرّدّ الذي ينشأ تلقائيًا ليس بحثًا شاقًّا عن التّضحيات أو مجرّد أداء واجب ثقيل، بل هو مسألة محبّة: "نلت من إلهيّ نِعَمًا غير عاديّة من محبّته، ودفعتني رغبتي على أن أبادله مِثلَها، وأن أبادل الحبّ بالحبّ" [164]. علّم البابا لاون الثّالث عشر وكتب أنّه من خلال صورة القلب الأقدس، حبّ يسوع "يدفعنا إلى أن نبادله الحبّ بالحبّ" [165].

امتداد لحبّه في الإخوة

167. يجب أن نعود إلى كلمة الله لندرك أنّ أفضل جواب لمحبّة قلب الله هي محبّة الإخوة. لا يوجد عمل أكبر يمكننا أن نقدّمه له لنبادله الحبّ بالحبّ. كلمة الله تقول بكلّ وضوح:

"كُلّما صَنعتُم شَيئًا مِن ذلك لِواحِدٍ مِن إِخوَتي هؤُلاءِ الصِّغار، فلي قد صَنَعتُموه" (متّى 25، 40).

"لأَنّ تَمامَ الشّريعةِ كُلِّها في هذِهِ الكَلِمَةِ الواحِدة: «أَحبِبْ قَريبَكَ حُبَّكَ لِنَفْسِكَ»" (غلاطية 5، 14).

"نَحنُ نَعلَمُ أَنّنا انتَقَلْنا مِنَ المَوتِ إِلى الحَياة، لأَنّنا نُحِبُّ إِخوَتَنا. مَن لا يُحِبُّ بَقِيَ رَهْنَ المَوت" (1 يوحنّا 3، 14).

"لأَنّ الّذي لا يُحِبُّ أَخاه وهو يَراه لا يَستَطيعُ أَن يُحِبَّ اللهَ وهو لا يَراه" (1 يوحنّا 4، 20).

168. محبّة الإخوة لا نصنعها نحن وحدنا، وليست نتيجة جهدٍ طبيعيّ، بل تتطلّب تغييرًا في قلبنا الأنانيّ. إذّاك ينشأ فينا تلقائيًّا الابتهال المعروف: "يا يسوع، اجعل قلبنا مثل قلبك". ولهذا السّبب نفسه، لم تكن دعوة القدّيس بولس: "اجتهدوا في عمل الأعمال الصّالحة"، بل كانت دعوته: "فلْيَكُنْ فيما بَينَكُمُ الشُّعورُ الّذي هو أَيضًا في المَسيحِ يَسوع" (فيلبي 2، 5).

169. من الجدير بالذّكر أنّه، في عهد الإمبراطوريّة الرّومانيّة، وَجَدَ الفقراء الكثيرون والغرباء والأشخاص المُبعَدون الكثيرون الآخرون الاحترام والمودّة والاهتمام لدى المسيحيّين. وهذا ما يفسّر فكر الإمبراطور يوليانس المرتدّ عن الإيمان، الذي تساءل عن سبب احترام المسيحيّين وأتباعهم، ورأى أنّ أحد الأسباب هو اهتمامهم بمساعدة الفقراء والغرباء، بينما تجاهلتهم الإمبراطوريّة واحتقرتهم. بالنّسبة لهذا الإمبراطور، كان الأمر لا يطاق بأنّ فُقراء الإمبراطوريّة لم يكونوا يتلقّون مساعدة منه، بينما المسيحيّون المكروهون "كانوا يُطعمون فقراءهم، وأيضًا فقراء الإمبراطوريّة" [166]. فركّز في إحدى رسائله بصورة خاصّة على الأمر بإنشاء مؤسّسات خيريّة لتتنافس مع المسيحيّين وتجذب احترام المجتمع: "افتتح بيوت مضافة كثيرة في كلّ المدن، حتّى يستطيع الغرباء أن يتمتّعوا بأعمالنا الإنسانيّة. [...] وعَوّدَ الهيلينيّين على أعمال المحبّة" [167]. لكنّه لم يحقّق هدفه، بالتّأكيد لأنّه لم تكن محبّة مسيحيّة في هذه الأعمال، المحبّة التي تعترف أنّ كلّ إنسان له كرامة فريدة.

170. تماهى يسوع مع أصغر النّاس في المجتمع (راجع متّى 25، 31 – 46) "فأتى بتجديد كبير، وهو الاعتراف بكرامة كلّ شخص، وأيضًا ولا سيّما الأشخاص الموصوفين بأنّهم "لا كرامة لهم". هذا المبدأ الجديد في تاريخ البشريّة، والذي صار بموجبه أكثر النّاس استحقاقًا للاحترام والحبّ، هم أكثرهم ضعفًا وبؤسًا وعذابًا، حتّى لو فقد صورته البشريّة، غيّر وجه العالم، فأوجد المؤسّسات التي تعتني بالأشخاص الذين يعيشون في الحرمان: الأطفال المتروكين، والأيتام، والمسنّين المتروكين وحدهم، والمرضى العقليّين، والمصابين بأمراض غير قابلة للشّفاء أو يعانون من تشوّهات خطيرة، أو يعيشون في الشّوارع" [168].

171. وأيضًا من ناحية قلب يسوع المجروح، النّظر إلى الرّبّ يسوع، الذي "أَخَذَ أسقامَنا وحَمَلَ أمراضَنا" (متّى 8، 17)، يحملنا على مزيد من الاهتمام بآلام واحتياجات الآخرين، ويقوّينا للمشاركة في عمله لتحرير الإنسان، فنكون أدوات لنشر محبّته. [169] إن تأمّلنا في العطيّة نفسها التي قدّمها المسيح للجميع، يصير من المحتّم أن نتساءل لماذا لسنا قادرين على أن نبذل حياتنا من أجل الآخرين: "وإنّما عَرَفْنا المَحبّةَ بِأنّ ذاكَ قد بَذَلَ نَفْسَه في سَبيلِنا، فعلَينا نَحنُ أيضًا أن نَبذُلَ نُفوسَنا في سَبيلِ إخوَتِنا" (1 يوحنّا 3، 16).

بعض الأصداء في تاريخ الرّوحانيّة

172. هذه الوَحدة بين عبادة قلب يسوع والالتزام نحو الإخوة، نجدها في كلّ تاريخ الرّوحانيّة المسيحيّة. لننظر في بعض الأمثلة.

ينبوع للآخرين

173. فسّر آباء كنيسة كثيرون، بعد أوريجانس، نصّ يوحنّا 7، 38 - "ستَجْري مِن جوفِه أنهارٌ مِنَ الماءِ الحَيّ" – بمعنى أنّ هذه إشارة إلى المؤمن نفسه، لأنّه هو نفسه شرب من المسيح. وهكذا فإنّ الاتّحاد بالمسيح لا يهدف فقط إلى إرواء عطشنا، بل إلى أن نصير ينبوع ماء عذب للآخرين. كان أوريجانُس يقول إنّ المسيح يحقّق وعده عندما يفجِّر فينا ينابيع من الماء: "إنّ نفسَ الإنسان التي هي على صورة الله تستطيع أن تحتوي في ذاتها وأن تعطي من ذاتها الآبار والينابيع والأنهار" [170].

174. أوصى القدّيس أمبروزيوس أنْ اشرَبُوا من المسيح "لكي يفيض فيكم ينبوع الماء ويتفجّر حياةً أبديّة" [171]. ويؤكّد ماريو فيتّورينو (Mario Vittorino) أنّ الرّوح القدس يُعطَى بوفرة "ومن يقبله يصير مُجَمّع ماء تفيض منه من جديد أنهارٌ من الماء الحيّ" [172]. وقال القدّيس أغسطينس إنّ هذا النّهر الذي ينبع من المؤمن هو نهر المودّة. [173] وكرّر القدّيس توما الأكويني هذه الفكرة بقوله إنّه عندما "يسرع أحدٌ للمشاركة مع غيره مختلف مواهب النّعمة التي قبِلَها من الله، فإنّ الماء الحيّ يجري ويتدفّق من صدره" [174].

175. في الواقع، إن كانت "ذبيحة الصّليب، التي يقدّمها يسوع بنفس محبّة ومطيعة، تقدِّم تعويضًا فائضًا وغير محدود، عن خطايا الجنس البشريّ" [175]، فالكنيسة، التي تُولد من قلب المسيح، تكمِّل وتُشرك الجميع، في كلّ زمان ومكان، في آثار الآلام الفريدة الفادية التي تقود الإنسان إلى الاتّحاد المباشر مع الرّبّ يسوع.

176. في داخل الكنيسة، لا يمكن فهم وساطة مريم، الشّفيعة والأم، إلاّ "بكونها مشاركة في هذا الينبوع الوحيد الذي هو وساطة المسيح نفسه" [176]، الفادي الوحيد، و"الكنيسة لا تتردّد في الاعتراف بدور مريم المرتبط بيسوع" [177]. العبادة لقلب مريم، في الواقع، لا تريد أن تنزع شيئًا من العبادة الفريدة لقلب المسيح، بل تزيدها: "رسالة مريم الوالديّة تجاه البشر لا تحجب أو تقلّل بأيّ شكل من الأشكال من شأن وساطة المسيح الفريدة، بل تبيّن فعّاليّتها" [178]. بفضل الينبوع الغزير الذي يتدفّق من جنب المسيح المفتوح، تصير الكنيسة ومريم وجميع المؤمنين، بطرق مختلفة، قنوات للماء الحيّ. هكذا المسيح نفسُه يكشف مجده في تواضع طبيعتنا.

أخُوّة وتصوّف

177. دعانا القدّيس برناردس إلى الاتّحاد بقلب المسيح، واستخدم غِنَى هذه العبادة ليقترح علينا تغييرًا في الحياة على أساس المحبّة. اعتبر أنّ هناك إمكانيّة تحوّل العاطفة، المستعبدة للملذات، التي لا تتحرّر بالطّاعة العمياء لوصيّة ما، بل بالاستجابة لعذوبة محبّة المسيح. الشّرّ نتجاوزه بالخير، الشّرّ نهزمه بمزيد من المحبّة: "أحِبِ إذًا الرّبّ إلهك من كلّ ملئ عاطفة قلبك، أحِبّه بكلّ سَهَرك وحذر عقلك، وأحِبّه أيضًا بكلّ قوتك، لدرجة أنّك لا تخَافُ حتّى أن تموت من أجل محبّته [...]. ليكن الرّبّ يسوع عذبًا ولطيفًا على قلبك، لمقاومة ملذّات الجسد التي هي عذبة بشكلٍ سيّء، ولتتغلّب العذوبة على العذوبة كما يدقّ مسمارٌ مسمارًا آخر" [179].

178. وجد القدّيس فرنسيس دي سالِس نورًا خاصًّا في طلب يسوع: "تَتَلمَذوا لي فإنّي وَديعٌ مُتواضِعُ القَلْب" (متّى 11،

179. أراد القدّيس شارل دي فوكو أن يقتدي بيسوع، وأن يعيش مثله، وأن يتصرّف كما تصرّف، وأن يعمل دائمًا ما كان سيعمله يسوع لو كان مكانه. ولتحقيق هذا الهدف كاملًا، كان بحاجة إلى أن يكون فيه ما في قلب المسيح من مشاعر. وهكذا تظهر العبارة "الحبّ بالحبّ" مرّة أخرى، عندما يقول: "أرغب في الآلام لأبادله الحبّ بالحبّ، [...] ولأشارك في عمله، وأقدّم نفسي معه، أنا العدم، ذبيحةً، وضحيّة، من أجل تقديس البشر" [182]. الرّغبة في حمل محبّة يسوع إلى الغير، وفي رسالته بين الفقراء والمنسيّين على الأرض، دفعته إلى اتّخاذ الشّعار "يسوع محبّة"، مع رمز قلب المسيح الذي يعلُوهُ صليب. [183] لم يكن قرارًا سطحيًّا: "بكلّ قوّتي أحاول أن أبيّن وأثبت لهؤلاء الإخوة الفقراء الضّائعين أنّ ديانتنا كلّها محبّة، وكلّها أخوّة، وأنّ شعارها هو القلب" [184]. وكانت رغبته أن يستقرّ مع إخوة آخرين "في المغرب باسم قلب يسوع" [185]. وبهذه الطّريقة، ستكون مهمّتهم كمبشِّرين بالإنجيل، طريقة الإشعاع: "يجب أن تشّع المحبّة من أديرة الأخُوّة، كما تشِّع من قلب يسوع" [186]. هذه الرّغبة جعلته تدريجًا أخًا كونيًّا لأنّه أراد أن يستقبل كلّ البشريّة المتألّمة في قلبه الأخويّ، عندما ترك نفسه تتكوّن على مثال قلب المسيح: "يجب على قلبنا، مثل قلب الكنيسة، ومثل قلب يسوع، أن يعانق جميع البشر" [187]. "محبّة قلب يسوع للبشريّة، المحبّة التي أظهرها في آلامه، هي المحبّة التي يجب أن نكنّها لجميع البشر" [188].

180. قال الأب هوفلين، المرشد الرّوحي للقدّيس شارل دي فوكو: "عندما يسكن الربّ يسوع في القلب، فإنّه يمنحه هذه المشاعر، وهذا القلب يتنازل ويدنو من الصّغار. وهذا كان استعداد القلب في منصور دي بول أيضًا [...] عندما يكون الرّبّ يسوع هو الحيّ في نفس كاهن، فإنّه يميل به نحو الفقراء [...]" [189]. من المهمّ أن نلاحظ أنّ هذا التفاني في القدّيس منصور دي بول، الذي وصفه الأب هوفيلين، قد تغذّى أيضًا بالعبادة لقلب المسيح. كان القدّيس منصور دي بول يدعو إلى أن نستمدّ "من قلب يسوع المسيح كلمة عزاء للمريض الفقير". [190] ولكي يتحقّق ذلك، من الضّروري أنّ يكون القلب قد تحوّل وتبدّل بمحبّة قلب المسيح ووداعته، وقد كرّر القدّيس منصور دي بول هذه القناعة كثيرًا في مواعظه ونصائحه، حتّى جعلها عنصرًا أساسيًّا في قوانين رهبنته: "الجميع سيبذلون قُصارَى جهدهم أيضًا ليتعلّمو هذا الدّرس الذي علّمنا إيّاه يسوع: تَتَلمَذوا لي فإنّي وَديعٌ مُتواضِعُ القَلْب، ويجب أن نتذكّر، كما قال هو نفسه: بالوداعة نملك الأرض، لأنّه إن مارسنا هذه الفضيلة نكسب قلوب النّاس ونحوّلهم إلى الله، وهذا ما لا يمكن أن نحصل عليه من الذين يتصرّفون مع القريب بطريقة قاسية وسيّئة" [191].

التّعويض: البناء على الأنقاض

181. كلّ هذا يسمح لنا بأن نفهم، في ضوء كلمة الله، المعنى الذي يجب أن نعطيه "للتّعويض" المقدّم لقلب المسيح، وما الذي ينتظره الرّبّ يسوع منّا حقًّا أن نعوّض عنه بمساعدة نعمته. دار نقاش كثير في هذا الأمر، والقدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني قدّم جوابًا واضحًا ليرشدنا نحن المسيحيّين اليوم إلى روحِ تعويضٍ أكثر انسجامًا مع الإنجيل.

المعنى الاجتماعيّ للتّعويض لقلب المسيح

182. أوضح القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني أنّه بتقديم أنفسنا معًا لقلب المسيح، "على أنقاض الكراهية والعنف، سنتمكّن من بناء حضارة المحبّة المنشودة، مملكة قلب المسيح"، وهذا يعني بالتّأكيد أنّنا قادرون على أن "نوحِّد المحبّة البنويّة نحو الله مع محبّة القريب"، وأكدّ بقوّة أنّ "هذا هو التّعويض الحقيقيّ الذي يطلبه قلب المخلِّص" [192]. نحن مدعوّون، مع المسيح، إلى بناء حضارة محبّة جديدة، على الدّمار الذي خلّفناه في هذا العالم مع خطيئتنا. هذا يعني أن نعوّض، كما يريد قلب المسيح ذلك منّا. في وسط الكارثة التي خلّفها الشّر، قلب المسيح يريد تعاوننا لنبني من جديد الخير والجمال.

183. أكيد أنّ كلّ خطيئة تضرّ بالكنيسة والمجتمع، لذلك "كلّ خطيئة يمكن أن يقال فيها إنّ لها بعدًا اجتماعيًّا"، ولو كان هذا صحيحًا خاصّة بالنّسبة لبعض الخطايا التي هي، "في جوهرها، اعتداء مباشر على القريب" [193]. وأوضح القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني أنّ تكرار هذه الخطايا ضدّ الآخرين يؤدّي غالبًا إلى ترسيخ "بُنَية الخطيئة" التي تؤثّر على تطوّر الشّعوب. [194] وهذا غالبًا جزءٌ من عقليّة مهيمنة تعتبر أمرًا طبيعيًّا وعقلانيًّا ما هو في الحقيقة فقط أنانيّة ولامبالاة. هذه الظّاهرة يمكننا أن نسمّيها بالاغتراب الاجتماعيّ: "فالمجتمع يكون مغتربًا، عندما يجعل كلّ تنظيماته

184. ولأنّ التّعويض الإنجيليّ له هذا المعنى الاجتماعيّ القوّي، فإنّ أعمال المحبّة والخدمة والمصالحة التي نقوم بها، لكي يكون فيها تعويض بصورة فعّالة، تتطلّب أن يدفعها المسيح، ويحرّكها، ويجعلها ممكنة. قال القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني أيضًا: لبناء حضارة المحبّة تحتاج البشريّة اليوم إلى قلب المسيح. [197] لا يمكن فهم التّعويض المسيحيّ فقط على أنّه مجموعة من الأعمال الخارجيّة، والتي لا بدّ منها أيضًا وهي أحيانًا أعمال عجيبة، إنّما يتطلّب التّعويض روحانيّة، ونفَسًا، ومعنى يمنحها القوّة والاندفاع والإبداع بلا كلل. وهي بحاجة إلى الحياة والنّار والنّور التي تأتي من قلب المسيح.

تعويض القلوب المجروحة

185. من جهة أخرى، التّعويض الخارجيّ فقط لا يكفي لا للعالم ولا لقلب المسيح. لو فكّر كلّ واحد في خطاياه وعواقبها على الآخرين، لاكتشف أنّ تعويض الضّرّر الذي ألحقه بهذا العالم يجب أن يتضمّن أيضًا الرّغبة في التّعويض للقلوب التي جُرِحَت، والتي حدث فيها الضّرّر الأعمق، والجرح الأكثر إيلامًا.

186. روح التّعويض "يدعونا إلى أن نملأ قلبنا بالأمل في إمكانيّة شفاء كلّ جرح، مهما كان عميقًا. قد يبدو التّعويض الكامل أحيانًا مستحيلًا، عندما تكون الممتلكات أو الأحبّاء قد هلكوا بصورة دائمة، أو عندما تصير بعض الحالات غير قابلة للإصلاح. لكن نيّة التّعويض، والتّعويض بصورة عمليّة، أمر ضروريّ لعمليّة المصالحة وعودة السّلام في القلب" [198].

جمال طَلَبِ المغفرة

187. النّيّة الحسنة لا تكفي. لا بدّ من ديناميكيّة الرّغبة الدّاخليّة، التي تسبّب نتائج خارجيّة. باختصار، "التّعويض، لكي يكون مسيحيًّا، ويلمس قلب الشّخص المهان، ولا يكون عملًا بسيطًا من أعمال العدل التّبادليّ، يفترض موقِفَين متطلّبَين: الاعتراف بالذّنب وطلب المغفرة. [...] ومن هذا الاعتراف الصّادق بالضّرّر الذي لحق بالأخ، ومن الشّعور العميق والصّادق بأنّ الحبّ قد جُرح، تنشأ الرّغبة في التّعويض" [199].

188. علينا ألاّ نفكّر أنّ الاعتراف بالخطيئة أمام الآخرين هو أمرٌ مهينٌ أو ضارٌّ بكرامتنا الإنسانيّة. بل بالعكس، هو التّوقّف عن الكذب على الذّات، وهو الاعتراف بتاريخنا كما هو، متّسِمًا بالخطيئة، خاصّة إذا أسأنا إلى إخوتنا: "شكوى الذّات هو جزء من الحكمة المسيحيّة. [...] وهذا يُرضي الرّبّ يسوع، لأنّه يقبل القلب المنسحق" [200].

189. عادة طلب المغفرة من الإخوة، هو جزء من روح التّعويض، وهو نُبل كبير في وسط ضعفنا. طَلَبُ المغفرة هو وسيلة لشفاء العلاقات لأنّه "يفتح الحوار من جديد ويُظهر الرّغبة في استئناف الرّباط في المحبّة الأخويّة. [...] وهذا يمسّ قلب الأخ ويعزّيه ويحثّه على قبول المغفرة المطلوبة". وبالتّالي، "إن لم يكن ممكنًا شفاء ما لا يمكن شفاؤه بصورة كاملة، فالحبّ يمكن أن يُولَد دائمًا من جديد، ويجعل الجرح محتملًا" [201].

190. القلب القادر على النّدم يمكن أن ينمو في الأخوّة والتّضامن، لأنّ "الذين لا يبكون يشيخون في داخلهم، أمّا الذين يرفعون صلاة بسيطة وحميمة، فيها سجود وتأثّرٌ أمام الله، فإنّهم ينضجون. ويصيرون أقلّ تعلّقًا بأنفسهم ويزدادون تعلّقًا بالمسيح، ويصيرون فقراءً بالرّوح. وبهذه الطّريقة، يشعرون بأنّهم أقرب إلى الفقراء، وأنّهم أحبّاء الله" [202]. إذّاك تولد روح حقيقيّة للتّعويض، لأنّ "النّادم في قلبه يشعر أكثر من غيره بأنّه أخٌ لجميع الخطأة في العالم. يشعر أنّه أخٌ دون أيّ مظهر من الاستعلاء أو القسوة في الحكم، ويشعر دائمًا بالرّغبة في أن يحبّ ويعوّض" [203]. هذا التّضامن الذي يُولَدُ من النّدم يجعل، في الوقت نفسه، المصالحة ممكنة. فالشّخص القادر على النّدم، "بدلًا من أن يغضب أو أن يتشكّك من شرّ ارتكبه إخوته، يبكي على خطاياهم. فهو لا يتشكّك. ويحدث نوع من الانقلاب في النّفس، إذ الميل الطّبيعيّ لأن نكون رحماء تجاه أنفسنا ومتشدّدين تجاه الآخرين، ينقلب ونصير بنعمة الله، متشدّدين مع أنفسنا ورحماء تجاه الآخرين" [204].

التّعويض: امتداد لقلب المسيح

191. هناك طريقة تكميليّة أخرى لفهم التّعويض، تسمح لنا بوضعه في علاقة مباشرة مع قلب المسيح، دون أن نستبعد من هذا التّعويض الالتزام العمليّ تجاه إخوتنا وأخواتنا الذين تكلّمنا عنهم.

192. أكّدتُ في سياقٍ آخر، أنّ الله "بطريقة ما، أراد الحدّ من نفسه، نوعًا ما"، و"حيث نجد أشياء عديدة، نعتبرها شرورًا أو أخطارًا أو أسباب معاناة، إنّما هي في الواقع جزء من آلام الولادة وتدفعنا إلى أن نتعاون مع الخالق" [205]. تعاوننا مع الله يقدر أن يسمح لقدرته ومحبّته بأن تنتشرا في حياتنا وفي العالم، بينما الرّفض أو اللامبالاة يمنعان ذلك. بعض العبارات من الكتاب المقدّس تعبّر عن ذلك بصورة مجازيّة، مثلًا، عندما يشتكي الله: "إن رَجَعتَ، يا إِسْرائيل، يَقولُ الرَّبّ، إِن رَجَعتَ إِلَيَّ" (إرميا 4، 1). أو عندما قال أمام شعبه الذي رفضه: "قدِ انقَلَبَ فيَّ فُؤادي واضطَرَمَت أَحْشائي" (هوشع 11، 8).

193. لا يمكننا أن نتكلّم على ألَمٍ جديدٍ للمسيح الممجّد، لكن "سرّ المسيح الفصحيّ [...] والمسيح كلّه بما هو وكلّ ما صنعه وتحمّله في سبيل النّاس أجمعين يشترك في الحياة الأبديّة الإلهيّة ويشمل هكذا جميع الأزمان وهو حاضر فيها" [206]. إلاّ أنّه يمكننا القول إنّه هو نفسه رضي بالحدّ من مجد قيامته الفائض، وبإيقاف انتشار محبّته الكبيرة والمتّقدة لكي يُفسح المجال لتعاوننا الحرّ مع قلبه. وهذا حقيقيّ جدًّا لدرجة أنّ رفضنا له يوقفه في اندفاعه للعطاء، وكذلك ثقتنا به وتقدمة ذاتنا له يفتح مجالًا، وتوفّر قناةً حرّة من العوائق لتدفّق محبّته. رفضنا له أو لامبالاتنا يحدّان من تأثير قوّته وتأثير حبّه فينا. فإن لم يجد فيّ الثّقة والانفتاح، يُحرَمُ حبُّه امتداده في حياتي الفريدة وغير المتكرّرة، في العالم الذي يدعوني فيه إلى أن أجعله حاضرًا، هذه إرادته. وهذا ليس علامة ضعف فيه، بل دليل حرّيته التي لا حدّ لها، وقدرته التي تبدو لنا متناقضة، وكمال محبّته لكلّ واحد منّا. وعندما تظهر قدرة الله المطلقة في ضعف حرّيتنا، "الإيمان وحده يستطيع أن يعرف ذلك" [207].

194. في الواقع، رَوَت القدّيسة مارغريتا مريم أنّه في إحدى ظهورات المسيح لها، كلّمها على قلبه المضطرم بالحبّ لنا، والذي "لمّا لم يكن قادرًا بعد على احتواء نيران حبّه المتّقد في داخله، شعر بحاجة لأن ينشرها" [208]. وبما أنّ الله القدير، في حرّيّته الإلهيّة، يحتاج إلينا، يُفهَمُ التّعويض على أنّه إزالة للعقبات التي نضعها أمام انتشار محبّة المسيح في العالم، بسبب قلّة الثّقة فينا والشّكر والتفاني.

تقدمة الحبّ

195. لكي نتأمّل بشكل أفضل في هذا السّرّ، تأتي لمساعدتنا مرّة أخرى روحانيّة القدّيسة تريزا الطّفل يسوع المضيئة. عِلِمَت أنّ بعض النّاس قد طوّروا شكلًا مبالغًا فيه من أشكال التّعويض، بنيّتهم الحسنة لتقدمة ذاتهم من أجل الآخرين، يقدّمون ذاتهم نوعًا من "مانعة الصّواعق" حتّى يتحقّق العدل الإلهيّ: "كنت أفكّر في النّفوس التي تقدّم ذاتها ذبيحة لعدل الله، لتبعد العقاب عن الخطأة وتحوّلها إلى ذاتها" [209]. ومهما بدت تقدمة الذّات هذه رائعة، إلاّ أنّها لم تكن مقنعة بها تمامًا: "كنت أبعد من أن أندفع إلى القيام بها" [210]. وأدّى هذا الإصرار على العدل الإلهيّ في النّهاية إلى التّفكير بأنّ ذبيحة المسيح كانت غير كاملة أو كانت فعّالة جزئيًّا فقط، أو أنّ رحمته لم تكن كثيفة بصورة كافية.

196. اكتشفت القدّيسة تريزا، بحدْسها الرّوحي، أنّ هناك طريقة أخرى لتقديم الذّات، حيث لا حاجة لإرواء العدل الإلهيّ، بل لتسمح لمحبّة الله اللامتناهية بأن تنتشر دون عقبات: "يا إلهيّ، هل سيبقى حبّك المزدرى داخل قلبك؟ أعتقد أنّه لو وجَدتَ نفوسًا تقدّم ذاتها ضحايا محرقة لحبّك، لأذَبْتَها بسرعة. وأعتقد أنّك ستكون سعيدًا بألاّ تحبس سيول الحنان اللامتناهي فيك" [211].

197. ليس هناك ما نضيفه إلى ذبيحة المسيح الفدائيّة الفريدة، لكنّه صحيح أنّ رفض حريتنا لا يسمح لقلب المسيح بأن يفيض "موجات حنانه غير المحدود" في هذا العالم. ولذلك يريد الرّبّ نفسه أن يحترم هذه الإمكانيّة. هذا ما يثير الاضطراب في قلب القدّيسة تريزا الطّفل يسوع، أكثر من العدل الإلهيّ، لأنّ العدل، في نظرها، لا يمكن أن يُفهَم إلاّ في ضوء الحبّ. وقد رأينا أنّها كانت تسجد لكلّ الكمالات الإلهيّة من خلال الرّحمة، وكانت تراها متجلّية مُشِعّةً بالحبّ. كانت تقول: "حتّى العدل (وربما أكثر من أيّ صفة أخرى) يبدو لي محاطًا بالحبّ" [212].

198. وهكذا، وُلدت تقدمة ذاتها، ليس للعدل الإلهيّ، بل للحبّ الرّحيم: "إنّي أقدّم نفسي ضحيّة محرقة لحبّك الرّحيم، وأتوسّل إليك أن تذيبني باستمرار، واترُكْ أمواج الحنان غير المحدود المحصورة فيك، تفيض في نفسي، وبهذه الطّريقة أصير شهيدة لحبّك، يا إلهي" [213]. من المهمّ أن نلاحظ أنّ الأمر ليس فقط بأن تسمح لقلب المسيح بأن ينشر جمال حبّه في قلبنا، من خلال الثّقة الكاملة، بل أيضًا من خلال حياتنا، يصل هو إلى الآخرين، ويغيّر العالم: "في قلب الكنيسة أمّي، سأكون الحبّ! [...] هكذا يتحقّق حلمي" [214]. الوجهان متّحدان بشكل لا ينفصل.

199. قَبِلَ الله تقدمة ذاتها. في الواقع، بعد مرور بعض الوقت أظهرت حبّها الشّديد للآخرين وأكّدت أنّ ذلك كان يأتي من قلب المسيح الممتدّ من خلالها. قالت للأخت ليوني ما يلي: "أحبّك بحنان ألف مرّة أكثر ممّا تحبّ الأخوات العاديّات بعضهنّ البعض، لأنّني أستطيع أن أحبّك بقلب عريسنا السّماوي" [215]. وبعد فترة من الزّمن، قالت لموريس بيلير (Maurice Bellière): "كم أريدك أن تفهم حنان قلب يسوع وما يتوقّعه منك!" [216].

تقدمة كاملة وانسجام

200. أيّها الأخوات والإخوة، أقترح أن نطوّر هذا الشّكل من التّعويض، وهو في النّهاية منح قلب المسيح إمكانيّة جديدة لنشر لهيب حنانه المتّقد في هذا العالم. إن كان صحيحًا أنّ التّعويض هو الرّغبة في التّكفير عن الإهانات التي لحقت بطريقة ما بالحبّ غير المخلوق، بسبب النّسيان أو الإهانة، [217] فالطّريقة الأنسب هي أن يعطي حبّنا لله الفرصة لينتشر بدل تلك المرّات التي رُفِضَ أو أُنكِرَ فيها. وهذا يحدث إن ذهبنا إلى أبعد من "التّعزية" البسيطة للمسيح، التي تكلّمنا عليها في الفصل السّابق، ويصير تعويضنا أعمال محبّة أخويّة نشفي بها جراح الكنيسة والعالم. بهذه الطّريقة نقدّم طرقًا جديدة للقوّة الشّافية لقلب المسيح.

201. الزّهد والآلام التي تطلبها أعمال المحبّة هذه للقريب توحّدنا مع آلام المسيح، وبالتألّم مع المسيح في "هذا الصّلب السّرّي الذي يتكلّم عليه الرّسول، سننال ثمار التّعويض والتّكفير الوافرة، عن أنفسنا وعن الآخرين" [218]. المسيح وحده يخلِّص بذبيحته على الصّليب من أجلنا، وهو وحده يفدي، لأنّ "اللهَ واحِد، والوَسيطَ بَينَ اللهِ والنّاسِ واحِد، وهو إنْسان، أي المسيحُ يسوعُ، الّذي جادَ بِنَفْسِه فِدًى لِجَميعِ النّاس" (1 طيموتاوس 2، 5–6). التّعويض الذي نقدّمه هو مشاركة، نقبلها بحرّيّة، في حبّه الفادي وذبيحته الواحدة. إذّاك نكمّل في جسدنا "ما نَقَصَ مِن شَدائِدِ المسيح في سَبيلِ جَسَدِه الّذي هو الكَنيسة" (قولسي 1، 24)، والمسيح نفسه هو الذي يُبقِي فينا آثار عطائه الكامل حبًّا لنا.

202. الآلام ترتبط غالبًا بالأنا، بنفسنا المجروحة، وتواضع قلب المسيح هو الذي يبيّن لنا طريق التّواضع. أراد الله أن يأتي إلينا فلاشى نفسه، وصار صغيرًا. العهد القديم يعلّمنا ذلك من خلال رموز مختلفة تُظهر لنا إلهًا يدخل في تاريخنا الوضيع، ويسمح لشعبه بأن يرفضه. حبّه يختلط بالحياة اليوميّة لشعبه الذي أحبّه هو، وصار يستَجدِي جوابًا، كأنّه يطلب الإذن لإظهار مجده. من جهة أخرى، "ربما مرّة واحدة فقط دعانا الرّبّ يسوع بكلامه إلى قلبه. وشدّد على هذه السّمات: "الوداعة والتّواضع"، كأنّه يريد أن يقول إنّه بهذه الطّريقة فقط يريد أن يكسب بها الإنسان" [219]. لمـّا قال المسيح: "تَتَلمَذوا لي فإنّي وَديعٌ مُتواضِعُ القَلْب" (متّى 11، 29)، قال لنا "إنّه يحتاج إلى صغرنا وضَعَتِنا لكي يعبّر عن نفسه" [220].

203. في كلّ ما قلناه، من المهمّ أن نلاحظ عدّة أوجه لا يمكن فصلها الواحد عن الآخر، لأنّ أعمال المحبّة للقريب، مع كلّ ما تنطوي عليه من زهد وإنكار للذّات وآلام وجهود، تقوم بهذه المهمّة عندما تتغذّى بمحبّة المسيح نفسه. إنّه يسمح لنا بأن نحبّ كما أحبّ هو، وهكذا هو نفسه يحبّ ويخدُم من خلالنا. وإن بدا من ناحيّة أنّه يصغر ويلاشي نفسه، لأنّه أراد أن يُبيّن محبّته من خلال أعمالنا، من ناحيّة أخرى، في أبسط أعمال الرّحمة، يتمجّد قلبه ويُظهر كلّ عظمته. القلب البشري الذي يترك المجال لحبّ المسيح، بثقة كاملة، ويسمح له بأن يفيض ناره في حياته، يصير قادرًا على محبّة الآخرين مثل المسيح، ويجعل نفسه صغيرًا وقريبًا من الجميع. وهكذا يُروي المسيح عطشه وينشر مجده ولهيب حنانه المتّقد فينا ومن خلالنا. ولْنلاحظْ الانسجام الجميل في كلّ هذا.

204. أخيرًا، لكي نفهم هذه العبادة بكلّ غناها، من الضّروريّ أن نضيف، معتبِرين ما قلناه عن بُعد الثّالوث الأقدس، أنّ التّعويض للمسيح الإنسان يُقدّم إلى الآب من خلال عمل الرّوح القدس فينا. لذلك، فإنّ التّعويض لقلب المسيح يُقدّم في النّهاية إلى الآب، الذي يسرّه أن يرانا متّحدين مع المسيح عندما نقدِّم أنفسنا به ومعه وفيه.

أشعلوا العالم بالحبّ

205. الرّؤية المسيحيّة للحياة، فيها ما يجذب الإنسان، عندما تُعاش وتَظهَر في صورتها الكاملة: فهي ليست لجوءًا بسيطًا إلى مشاعرَ دينيّة، ولا هي أعمال عبادة باهرة. أيّ عبادة هي، لو اكتفينا بعلاقة شخصيّة مع المسيح، دون أن نهتمّ بمساعدة الآخرين فنخفِّف من آلامهم أو نساعدهم لتكون لهم حياة أفضل؟ هل يمكن ربّما أن نرضي قلب يسوع الذي أحبّ كثيرًا إن بقيت خبرتنا الدّينيّة فينا فقط، دون تأثير على حياة إخوتنا ومجتمعنا؟ لنكن صادقين ولنقرأ كلمة الله كاملة. ولهذا السّبب نفسه نقول إنّ الأمر ليس نشرًا لعمل اجتماعيّ لا معنى دينيّ له، وهذا في النّهاية أقلّ ممّا يريد الله أن يمنحه للإنسان. لهذا يجب أن نختتمّ هذا الفصل مذكّرين بالبُعد الإرساليّ لمحبّتنا لقلب المسيح.

206. القدّيس البابا يوحنّا بولس الثّاني، بالإضافة إلى الكلام على البُعد الاجتماعيّ لعبادة قلب المسيح، قال إنّ "التّعويض، هو تعاون في عمل الرّسالة من أجل خلاص العالم" [221]. وبالطّريقة نفسها، فإنّ التّكرّس لقلب المسيح "يجب أن يكون مرتبطًا بعمل الكنيسة نفسها في حقل الرّسالة، لأنّه يجيب على رغبة قلب يسوع في أن ينشر في العالم كلّه، من خلال أعضاء جسده، عطاءه الكامل من أجل الملكوت" [222]. إذّاك من خلال المسيحيّين "تفيض المحبّة في قلوب البشر حتّى يُبنى جسد المسيح، الذي هو الكنيسة، ويُبنى أيضًا مجتمع عدل وسلام وأخوّة" [223].

207. انتشار نار محبّة قلب المسيح يتمّ أيضًا في عمل الكنيسة في الرّسالة، التي تحمل إعلان حبّ الله الذي ظهر في المسيح. كان القدّيس منصور دي بول يعلِّم هذا جيّدًا عندما كان يدعو تلاميذه إلى أن يطلبوا إلى الله "هذا القلب، هذا القلب الذي يجعلنا نذهب إلى كلّ مكان، قلب ابن الله هذا، قلب ربّنا يسوع المسيح، [...] الذي يهيّئنا لنذهب كما كان يذهب [...] ويرسلنا نحن أيضًا مثل تلاميذه، لنحمل ناره إلى كلّ مكان" [224].

208. قال القدّيس البابا بولس السّادس، في كلمته للرّهبانيّات التي تنشر عبادة قلب يسوع الأقدس، "لا شكّ في أنّ الالتزام الرّعوي والغَيرة في الرّسالة سيتّقدان بصورة شديدة، إن تأمّل الكهنة والمؤمنون، لنشر مجد الله، في مثال المحبّة الأزليّة التي أظهرها لنا المسيح، وإن وجّهوا جهودهم لجعل جميع البشر يشتركون في غنى المسيح الذي لا يُستَقصَى" [225]. في نور القلب الأقدس، تصير الرّسالة مسألة محبّة، والخطر الأكبر في هذه الرّسالة هو أن نقول ونعمل أشياء كثيرة، ولكن لا ننجح بأن نحقّق لقاءً حيًّا مع محبّة المسيح التي تعانق وتخلِّص.

209. الرّسالة، إن فُهِمَت على أنّها إشعاع محبّة قلب المسيح، تتطلّب مُرسَلِين "مشغوفين بحبِّ الله"، وما زالوا أسرى المسيح، فهُم ينقلون حتمًا هذا الحبّ الذي غيّر حياتهم. لهذا، هؤلاء يؤلمهم إضاعة الوقت في مناقشة القضايا الثّانويّة أو فرض حقائق وقوانين، لأنّ همّهم الأكبر هو نقل ما يعيشونه، وخاصّة، أن يتمكّن الآخرون من أن يدركوا صلاح وجمال الله المُحِبّ من خلال جهودهم الضّئيلة. أليس هذا ما يحدث مع كلّ مُحِبّ؟ يجدر بنا أن ننظر مثلًا في كلمات دانتي أليغييري، الواقع في الحبّ، وقد أراد أن يعبِّر عن هذا المنطق:

"عندما أفكِّر في قيمة الحبّ

أشعر بالحبِّ في نفسي عذبًا إلى حدٍّ

أنّي ولو فقدت الجرأة في نفسي

فإنّ نَبراتي تجعل الجميع عاشقين" [226].

210. التكلّم على المسيح، بالشّهادة أو بالكلام، حتّى لا يضطّر الآخرون إلى بذل جهد كبير لمحبّته، هذه هي أسمى رغبة لمرسل إلى النّفوس. في ديناميكيّة الحبّ لا يوجد اقتناص أو بحث عن أتباع، فكلام المحبّ لا يزعج ولا يفرض ولا يعرف الإكراه، بل يحمل الآخرين على السّؤال: كيف يمكن أن يكون مثل هذا الحبّ. ومع أقصى درجات الاحترام

211. يَطلب منك المسيح، دون أن تهمل الفطنة والاحترام، ألاّ تخجل من الاعتراف بصداقتك معه. يَطلب منك أن تكون لديك الشّجاعة على القول للآخرين إنّه حسنٌ لك أن تلتقي به: "مَن شَهِدَ لي أمامَ النّاس، أشهَدُ لَه أمامَ أبي الّذي في السّموات" (متّى 10، 32). بالنّسبة للقلب المحبّ، ليس هذا واجبًا، بل هو ضرورة يصعب عدم الاستجابة لها: "الوَيلُ لي إن لم أُبَشِّر!" (1 قورنتس 9، 16). "كانَ في قَلْبي كنارٍ مُحرقَة قد حُبِسَت في عِظامي فأجهَدَني احتِمالُها ولَم أقْوَ على ذلك" (إرميا 20، 9).

في شركة الخدمة

212. يجب ألاّ نفكّر في رسالة التّعريف بالمسيح هذه، أنّها مجرّد شيء بيني وبينه. بل يجب أن نعيشها في شركة ووَحدة مع جماعتنا المؤمنة ومع الكنيسة. إن أبعدنا أنفسنا عن الجماعة، فإنّنا نُبعد أنفسنا عن يسوع. وإن نسيناها ولم نهتمّ للجماعة، فإنّ صداقتنا مع يسوع تبرد. يجب ألاّ ننسَ هذا السّرّ أبدًا. محبّة الإخوة في جماعتنا المؤمنة - الرّهبانيّة، والرّعويّة، والأبرشيّة - هي بمثابة الوقود الذي يغذّي صداقتنا مع يسوع. أعمال المحبّة للإخوة في الجماعة المؤمنة يمكن أن تكون أفضل طريقة، أو أحيانًا الطّريقة الوحيدة الممكنة، للتعبير عن محبّة يسوع المسيح للآخرين. قال الرّبّ يسوع نفسه: "إذا أحَبّ بَعضُكُم بَعضًا، عَرَفَ النّاسُ جَميعًا أنّكُم تَلاميذي" (يوحنّا 13، 35).

213. إنّها المحبّة التي تصير خدمة للجماعة. ولا أتعب من التّذكير بأنّ يسوع قال ذلك بوضوح كبير: "كُلّما صَنعتُم شَيئًا مِن ذلك لِواحِدٍ مِن إخوَتي هؤُلاءِ الصِّغار، فلي قد صَنَعتُموه" (متّى 25، 40). فهو يوصيك أن تجده أيضًا في كلّ أخ وأخت، وخاصّة في الذين هم أكثرهم فقرًا، والمحتقرين والمتروكين. يا له من لقاء جميل!

214. لذلك، إن كرّسنا أنفسنا لمساعدة أحد، فهذا لا يعني أنّنا ننسى يسوع. بل بالعكس، سنجده بطريقة أخرى. وعندما نحاول أن نُنهض ونَشفي أحدًا، فيسوع يكون هناك بجانبنا. يجب أن نتذكّر أنّ الرّبّ يسوع لمـّا أرسل تلاميذه كان "يَعمَلُ مَعَهم" (مرقس 16، 20). إنّه هناك، يعمل، ويكافح ويصنع الخير معنا. بطريقة خفيّة، تظهر محبّته في خدمتنا، وهو نفسه الذي يتكلّم إلى العالم بهذه اللغة التي لا كلام فيها أحيانًا.

215. يسوع يرسلك لتنشر الخير ويدفعك من داخل نفسك. لهذا يدعوك إلى دعوة فيها خدمة: لتصنع الخير، سواء كنت طبيبًا، أم أمًّا، أم معلّمًا، أم كاهنًا. أينما كنت، يمكنك أن تسمع أنّه يدعوك ويرسلك لتحمل هذه الرّسالة على الأرض. هو نفسه يقول لنا: "فهاءَنَذا أُرسِلُكم" (لوقا 10، 3). وهذا جزء من الصّداقة معه. لذلك، لكي تنضج هذه الصّداقة، يجب أن تسمح له بأن يرسلك لتُتِمّ رسالة في هذا العالم، بثقة، وسخاء، وحرّيّة، ودون مخاوف. إن انغلقت في راحتك، لن تجد الأمان، ستَظهر دائمًا المخاوف والحزن والقلق. الذي لا يتمّم رسالته على هذه الأرض لا يمكن أن يكون سعيدًا، بل يُصاب بالإحباط. لهذا من الأفضل أن تتركه يرسلك، اتركه يسير بك أينما يريد. ولا تنسَ أنّه يرافقك. فهو لا يلقي بك في الهاوية ولا يتركك لقواك. هو يدفعك ويرافقك. وعَدَ بذلك وهو يفي بوعده: "هاءَنذا معَكم طَوالَ الأيّام" (متّى 28، 20).

216. يجب أن تكون مرسلًا، مُرسَلة، بطريقة ما، كما كان رسل يسوع والتّلاميذ الأوائل، الذين ذهبوا ليُعلنوا محبّة الله، ذهبوا ليعلنوا أنّ المسيح حيّ ويستحقّ أن نعرفه. عاشت القدّيسة تريزا الطّفل يسوع هذه الخبرة كعنصر ضروريّ من تقدمة ذاتها للحبّ الرّحيم: "أردت أن أسقي حبيبي، وأنا نفسي شعرت بعطش النّفوس يُحرقُني" [227]. وهذه أيضًا هي رسالتك. كلّ واحد يتمِّم رسالته بطريقته الخاصّة، انظر كيف يمكنك أن تكون مُرسلًا، مُرسَلة. فيسوع يستحقّ ذلك. إن كانت لديك الشّجاعة، هو، من جهته، ينيرك، ويرافقك ويقوّيك، وستعيش خبرة ثمينة تُفيدك كثيرًا. لا يهمّ إن استطعت أن ترى النّتائج، المهمّ أن تترك الرّبّ يسوع يعمل في سرّ القلوب، لكن لا تتوقّف عن اختبار الفرح في سَعيك للتّعريف بمحبّة المسيح للآخرين.

ةمتاخلا

217. ما تعبّر عنه هذه الوثيقة يسمح لنا بأن نكتشف أنّ ما ورد في الرّسائل الاجتماعيّة "كُنْ مُسَبّحًا" (Laudato si) و "كلّنا إخوة" (Fratelli tutti) ليس غريبًا عن لقائنا بمحبّة يسوع المسيح، لأنّنا إذا ارتوينا من هذه المحبّة صِرْنا قادرين

218. اليوم، كلّ شيء يُشترى ويُدفع ثمنه، ويبدو أنّ الشّعور بالكرامة يعتمد على الأشياء التي نحصل عليها بسلطة المال. نحن مدفوعون فقط إلى أن نكدِّس المال ونستهلك الأشياء ونلهو، ونحن أسرى نظام مهين لا يسمح لنا بالنّظر إلى ما هو أبعد من احتياجاتنا المباشرة والمسكينة. محبّة المسيح خارج هذه الآليّة الفاسدة، وهو وحده يستطيع أن يحرّرنا من هذه الحُمّى التي لم يعد فيها مكان للمحبّة المجّانيّة. إنّه قادر على إعطاء قلب لهذه الأرض وأن يخلق من جديد الحبّ حيثما نعتقد أنّ القدرة على الحبّ قد ماتت إلى الأبد.

219. الكنيسة أيضًا تحتاج إلى هذا، حتّى لا تستبدل محبّة المسيح بهيكليّات عفا عليها الزّمن، وهوس أزمنة غابرة، وعبادة عقليّاتنا الخاصّة، وكل أنواع التّعصّب، وينتهي بنا الأمر إلى إحلال كلّ ذلك محلّ محبّة الله المجّانيّة التي تحرّر وتحيي وتُفرح القلب وتُغذّي الجماعات. من الجرح في جنب المسيح ما زال النّهر يتدفّق ولا ينضب أبدًا، ولا يزول، ويقدِّم نفسه دائمًا من جديد لمن يريد أن يحبّ. حبّه فقط يجعل البشريّة الجديدة ممكنة.

220. أصلّي إلى الرّب يسوع لكي تجري من قلبه الأقدس أنهارٌ من المياه الحيّة لنا جميعًا لشفاء الجراح التي نسبّبها لأنفسنا، ولتقويةِ قدرتنا على الحبّ والخدمة، ولتدفعنا إلى أن نتعلّم السّير معًا نحو عالم عادل ومتضامن وأخوّي. وهذا إلى أن نحتفل معًا بسعادة بوليمة الملكوت السّماوي. هناك المسيح القائم من بين الأموات، الذي سيوفِّق بين كلّ اختلافاتنا بالنّور الذي يفيض باستمرار من قلبه المفتوح. ليكن دائمًا مباركًا.

صَدَرَ في روما، قرب ضريح القدّيس بطرس، في 24 تشرين الأوّل/أكتوبر 2024، في السّنة الثّانية عشرة من حبريّتي.

سيسنرف

---

[1] أفكار كثيرة من هذا الفصل مستلهمة من كتابات الكاهن اليسوعي دييغو فارس (Diego Fares S.I) غير منشورة. ليقبله الله في مجد قدّيسيه.

[2] راجع هوميروس، *الإلياذة*، 21، 441.

[3] راجع المرجع نفسه، 10، 244.

[4] راجع *Timeo* 65 c-d، 70.

[5] *عظة في قدّاس الصّباح في بيت القدّيسة مارتا*، 14 تشرين الأوّل/أكتوبر 2016: *L'Osservatore Romano*، 15 تشرين الأوّل/أكتوبر 2016، 8.

[6] القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، *صلاة الملاك*، 2 تموز/يوليو 2000: *L'Osservatore Romano*، 3-4 تمّوز/يوليو 2000، 4.

[7] المؤلّف نفسه، *التّعليم المسيحيّ أثناء المقابلة العامّة*، 8 حزيران/يونيو 1994: *L'Osservatore Romano*، 9 حزيران/يونيو 1994، 5.

[8] *الشّياطين* (1873).

[9] Romano Guardini، *العالم الدّيني في كتابات دوستويفسكي*، بريشّا 1980، 236.

[10] Karl Rahner، *بعض الأفكار للاهوت عبادة قلب يسوع الأقدس*، في *لاهوت قلب المسيح*، روما 1995، 60.

[11] *المرجع نفسه*، 61.

[12] Byung-Chul Han, *Heideggers Herz. Zum Begriff der Stimmung bei Martin Heidegger*,

[13] *المرجع نفسه*، 60، راجع 176.

[14] راجع *المرجع نفسه*، *نزاع Eros*، ميلانو، 2019.

[15] راجع Martin Heidegger، شعر *Hölderlin*، ميلانو، 1988، 144.

[16] Cfr Michel de Certeau, *Lo spazio del desiderio. Gli «Esercizi Spirituali» di Loyola*, in *Il parlare angelico: figure per una poetica della lingua: secoli XVI e XVII*, Firenze 1989, 95-110.

[17] *مسيرة العقل إلى الله*، 6 ،VII: القدّيس بونافنتورا، *ربط العلوم باللاهوت*، روما 1995، 93.

[18] Id., *Proemium in I Sent.*, q. 3: *Opera Omnia*, Quaracchi 1882, vol. 1, 13.

[19] S. John Henry Newman ، تأمّلات وصلوات، ميلانو، 2002، 106.

[20] دستور رعائي، *فرح ورجاء*، 82.

[21] *المرجع نفسه*، 10.

[22] *المرجع نفسه*، 14.

[23] راجع دائرة عقيدة الإيمان، إعلان *الكرامة التي لا حدود لها*، 2 نيسان/أبريل 2024، 8. راجع *L'Osservatore Romano*، 8 نيسان/أبريل 2024.

[24] دستور رعائي، *فرح ورجاء*، 26.

[25] القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، *صلاة الملاك*، 28 حزيران/يونيو 1998: *L'Osservatore Romano*، 30 حزيران/يونيو – 1 تمّوز/يوليو 1998، 7.

[26] رسالة بابويّة عامّة، *كُنْ مُسَبّحًا*، 24 أيّار/مايو 2015، 83: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* (2015)، 880.

[27] *عظة في قدّاس الصّباح في بيت القدّيسة مارتا*، 7 حزيران/يونيو 2013: *L'Osservatore Romano*، 8 حزيران/يونيو 2013، 8.

[28] بيوس الثّاني عشر، رسالة بابويّة عامّة، *تستقون المياه* -15 *Haurietis Aquas*، أيّار/مايو 1956، I: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 316.

[29] بيوس السّادس، دستور، *مصدر الإيمان* -28 *Auctorem fidei*، آب/أغسطس 1794، 63: (*Denzinger-Hünermann*)، 2663.

[30] لاون الثّالث عشر، رسالة بابويّة عامّة، *السّنة المقدّسة* - 25 *Annum Sacrum*، أيّار/مايو 1899: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 31 (1898-1899)، 649.

[31] *المرجع نفسه*: "في القلب الأقدس رمز وصورة صريحة لحبّ يسوع المسيح اللامتناهي".

[32] *صلاة الملاك*، 9 حزيران/يونيو 2013: *L'Osservatore Romano*، 10-11 حزيران/يونيو 2013، 8.

[33] هكذا نفهم لماذا منعت الكنيسة وضع صور لقلب يسوع أو لقلب مريم وحدهما على المذبح (راجع ردّ رهبنة Riti إلى الكاهن كارلوس ليكوك، 5 نيسان/أبريل 1879: *Decreta authentica Congregationis Sacrorum Rituum ex actis ejusdem collecta*, vol. III, 107-108, n. 3492). خارج الليتورجيّا، "للعبادة الخاصّة" (*المرجع نفسه*)، يمكن استخدام رمز القلب كتعبير تعليميّ أو صورة جماليّة أو رمزيّة يدعونا إلى التّفكير في محبّة المسيح، لكنّنا نوشك

[34] المجمع التريدنتيني المسكونيّ، الجلسة XXV، *قرار "يأمر السّينودس المقدّس"* (*Mandat Sancta Synodus*)، 3 كانون الأوّل/ديسمبر 1563: (*Denzinger-Hünermann*)، 1823.

[35] مؤتمر الأساقفة الخامس في أمريكا اللاتينيّة والكاريبي، *وثيقة الأباريسيدا* - *Documento di Aparecida*، 29 حزيران/يونيو 2007، رقم 259.

[36] رسالة بابويّة عامّة، *تستقون المياه* - *Haurietis Aquas*، 15 أيّار/مايو 1956: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 323-324.

[37] الرّسالة 261، 3: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 32، 972.

[38] في إنجيل القدّيس يوحنّا، العظة 63، 2: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 59، 350.

[39] *De fide ad Gratianum*، II، 7، 56: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 16، 594 (طبعة 1880).

[40] شروحات – *Enarrationes*، في المزمور 87، 3: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 37، 1111.

[41] راجع في *الإيمان القويم*، 3، 6. 20: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 94، 1006. 1081.

[42] Olegario González De Cardedal، *قلب المسيحيّة*، سالامانكا، 2010، 70-71.

[43] *صلاة الملاك*، 1 حزيران/يونيو 2008: *L'Osservatore Romano*، 2-3 حزيران/يونيو 2008، 1.

[44] بيوس الثّاني عشر، رسالة بابويّة عامّة، *تستقون المياه* - *Haurietis Aquas*، 15 أيّار/مايو 1956، II: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 327-328.

[45] *المرجع نفسه*، 28: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 343-344.

[46] بندكتس السّادس عشر، *صلاة الملاك*، 1 حزيران/يونيو 2008: *L'Osservatore Romano*، 2-3 حزيران/يونيو 2008، 1.

[47] Vigilio، دستور، *بين الهموم الكثيرة* - *Inter innumeras sollicitudines*، 14 أيّار/مايو 553: (*Denzinger-Hünermann*)، 420.

[48] مجمع *أفسس المسكوني*، *حرمان كيرّلس الإسكندريّ*، 8: (*Denzinger-Hünermann*)، 259.

[49] مجمع *القسطنطينيّة الثّاني* المسكوني، الجلسة 2 ،VIII حزيران/يونيو 553، القانون 9: (*Denzinger-Hünermann*)، 431.

[50] القدّيس يوحنّا الصّليب، *النّشيد الرّوحيّ*، A، المقطوعة 22، 4: *الأعمال*، روما 1979، 919.

[51] *المرجع نفسه*، المقطوعة 12، 8: *الأعمال المذكورة*، 881.

[52] *المرجع نفسه*، المقطوعة 12، 1: 881.

[53] "فلَيسَ إلّا إلهٌ واحِدٌ وهو الآب، مِنه كُلُّ شَيءٍ وإلَيه نَحنُ أيضًا نَصير" (1قورنتس 8، 6). "المَجْدُ للهِ أبينا أبَدَ الدّهور. آمين" (فيلبي 4، 20). "تَبارَكَ اللّهُ أبو ربّنا يسوعَ المسيح، أبو الرّأفَةِ وإلهُ كُلّ عَزاء" (2 قورنتس 1، 3).

[54] رسالة بابويّة عامّة، *في الألفيّة الثّالثة* - *Tertio millennio adveniente*، 10 تشرين الثّاني/نوفمبر 1994، 49: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 87 (1995)، 35.

[55] رسالة إلى أهل رومة، 7: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 5، 694.

[56] "يجب أن يَعرفَ العالَم أنّي أُحِبُّ الآب" (يوحنّا 14، 31). "أنا والآبُ واحِد" (يوحنّا 10، 30). "أنا في الآبِ والآب فيّ" (راجع يوحنّا 14، 10).

[57] "أمضي إلى الآب" (πρὸς τὸν πατέρα: يوحنّا 16، 28)؛ "أنا ذاهِبٌ إليكَ" (πρὸς σέ: يوحنّا 17، 11).

[58] "εἰς τὸν κόλπον τοῦ πατρός".

[59] *الرّد على الهراطقة* 1، 18، III: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 7، 923.

[60] *في إنجيل يوحنّا* 2، II: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 14، 110.

[61] *صلاة الملاك*، 23 حزيران/يونيو 2002: *L'Osservatore Romano*، 24-25 حزيران/يونيو 2002، 1.

[62] القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، *رسالة في الذّكرى المئويّة لتكريس الجنس البشريّ لقلب يسوع الأقدس*، وارسو، 11 حزيران/يونيو 1999، في الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس: *L'Osservatore Romano*، 12 حزيران/يونيو 1999، 5.

[63] المؤلّف نفسه، *صلاة الملاك*، 8 حزيران/يونيو 1986، 4: *L'Osservatore Romano*، 9-10 حزيران/يونيو 1986، 5.

[64] *عظة*، زيارة مستشفى Gemelli وكلّيّة الطّب في جامعة القلب الأقدس الكاثوليكيّة، 27 حزيران/يونيو 2014: *L'Osservatore Romano*، 29 حزيران/يونيو 2014، 7.

[65] أفسس 1، 5. 7؛ 2، 18؛ 3، 12.

[66] أفسس 2، 5. 6؛ 4، 15.

[67] أفسس 1، 3. 4. 6. 7. 11. 13. 15؛ 2، 10. 13. 21. 22؛ 3، 6. 11. 21.

[68] *رسالة في الذّكرى المئويّة لتكريس الجنس البشريّ لقلب يسوع الأقدس*، وارسو، 11 حزيران/يونيو 1999، في الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس: *L'Osservatore Romano*، 12 حزيران/يونيو 1999، 5.

[69] "بما أنّ القلب الأقدس هو رمز وصورة حسّيّة لحبّ يسوع المسيح غير المحدود الذي يدفعنا إلى أن نحِبّ بعضنا بعضًا، فمن المناسب والملائم أن نكرّس أنفسنا لقلبه الأقدس، أي أن نقدِّم ذاتنا، وأن نتّحد بيسوع المسيح [...]. وعلامة أخرى أمام عيوننا اليوم، في روعة الجمال والألوهيّة: قلب يسوع الأقدس على الصّليب، يسطع بين النيران، ببهاء رائع. ففيه نضع كلّ الآمال، وفيه نطلب ونرجو خلاص البشر" (رسالة بابويّة عامّة، *السّنة المقدّسة - Annum sacrum*، 25 أيّار/مايو 1899، *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 31 [1898-1899]، 649؛ 651).

[70] "في هذه العلامة المجيدة، وفي هذا التّعبّد النّاجم عنها، أليس صحيحًا أنّ هذه العبادة تحتوي كلّ الدّيانة، وهي أكمل قاعدة للحياة، وتقود الرّوح بسرعة إلى معرفة المسيح الحميمة، وتدفعه إلى محبّة شديدة له وإلى الاقتداء به بصورة فعّالة" رسالة بابويّة عامّة، *الفادي الجزيل الرّحمة - Miserentissimus Redemptor*، 8 أيّار/مايو 1928، 3: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 20 (1928)، 167.

[71] "إنّه عمل عبادة بامتياز، أي إنّه الإرادة الكاملة والمطلقة لتسليم أنفسنا وتكريسها لحبّ الفادي الإلهيّ، والرّمز والعلامة الحيّة لهذه العبادة هو قلبه المطعون [...]، فيه نقدر أن نرى ليس فقط الرّمز، ولكن أيضًا، بطريقة ما، خلاصة كلّ سرّ فدائنا [...]. أظهر يسوع المسيح قلبه، مرارًا كثيرة وبوضوح، أنّه الرّمز الأنسب لتحفيز النّاس لمعرفة وقبول حبّه، وقد جعله في الوقت نفسه علامةً وعربونًا لرحمته ونعمته لاحتياجات الكنيسة الرّوحيّة في الأزمنة الحديثة" (رسالة بابويّة عامّة، *تستقون المياه - Haurietis Aquas*، 15 أيّار/مايو 1956، مقدّمة، III، IV: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 311؛ 336؛ 340).

[72] *التّعليم المسيحيّ أثناء المقابلة العامّة*، 8 حزيران/يونيو 1994، 2: *L'Osservatore Romano*، 9 حزيران/يونيو 1994، 5.

[73] *صلاة الملاك*، 1 حزيران/يونيو 2008: *L'Osservatore Romano*، 2-3 حزيران/يونيو 2008، 1.

[74] رسالة بابويّة عامّة، *تستقون المياه* - *Haurietis Aquas*، 15 أيّار/مايو 1956، IV: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 344.

[75] راجع *المرجع نفسه*: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 336.

[76] "قيمة أحداث الوحي الخاصّ تختلف جوهريًّا عن الوحي الوحيد العام: هذا الوحي يقتضي إيماننا [...]. الوحي الخاصّ [...] هو عون مقدّم، لكن استخدامه ليس إلزاميًّا" بندكتس السّادس عشر، الإرشاد الرّسوليّ، *كلمة الله*، 30 أيلول/سبتمبر 2010، 14: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 102 (2010)، 696.

[77] رسالة بابويّة عامّة، *تستقون المياه* - *Haurietis Aquas*، 15 أيّار/مايو 1956، IV: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 340.

[78] *المرجع نفسه*: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 344.

[79] *المرجع نفسه*.

[80] الإرشاد الرّسوليّ، *الثّقة فقط*، 15 تشرين الأوّل/أكتوبر 2023، 20: *L'Osservatore Romano*، 16 تشرين الأوّل/أكتوبر 2023.

[81] القدّيسة تريزا الطّفل يسوع من ليزيو، المخطوط A، 83v°: *الأعمال الكاملة*، روما 1997، 209.

[82] القدّيسة ماريّا فوستينا كُوالسكا، *اليوميّات. الرّحمة الإلهيّة في نَفسِي* (الدّفتر الأوّل، 22 شباط/فبراير 1931)، حاضرة الفاتيكان 2021، 74.

[83] راجع *المشنا*، *سُكّة* 9 .5 .IV.

[84] *رسالة إلى الأب بيتر هانس كولفنباخ (Peter-Hans Kolvenbach)، الرّئيس العام للرّهبنة اليسوعيّة*، فرنسا، 5 تشرين الأوّل/أكتوبر 1986: *L'Osservatore Romano*، 7 تشرين الأوّل/أكتوبر 1986، IX.

[85] أ *عمال شُهداء ليون*، في يوسابيوس من القيصريّة، *تاريخ الكنيسة*، 22 ،1 ،V: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 20، 418.

[86] Rufinus, V, 1, 22 in *GCS, Eusebius* II, 1, p. 411, 13s.

[87] القدّيس يوستينس، *الحوار* 135: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 6، 787.

[88] Novaziano، *في الثّالوث*، 29: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 3، 944. راجع القدّيس غريغوريوس من إلفيرا (Elvira)، *مؤلّفات أوريجانس في أسفار الكتاب المقدّس*، 12 ،XX: *مجموعة المؤلّفين المسيحيّين السّلسلة اللاتينيّة* (144 ،69) *CCSL*.

[89] القدّيس أمبروزيوس، *شروحات في المزامير* 33 ،I: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 14، 983-984.

[90] راجع *مؤلّفات في إنجيل يوحنّا*، 61، 6: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 35، 1801.

[91] *الرّسالة إلى روفينو (Rufinum)* 3، 4. 3: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 22، 334.

[92] *العظة في نشيد الأناشيد* 61، 4: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 183، 1072.

[93] راجع *الشّرح الثّاني في سفر نشيد الأناشيد* (*Expositio altera super Cantica Canticorum*)، الفصل الأوّل: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 180، 487.

[94] Guglielmo di Saint-Thierry، *طبيعة الحبّ وكرامته*، 1: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 184، 379.

[95] المؤلّف نفسه، *صلوات وتأمّلات*، 8، 6: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 180، 230.

[96] القدّيس بونافنتورا، *شجرة الحياة. في سرّ الآلام*، 30: *الكتب الرّوحيّة*، 3، روما 1992 (*كتابات القدّيس بونافنتورا*، XIII)، 245.

[97] *المرجع نفسه*، 47.

[98] *القدّيسة جيرترودا دي هلفتا، بشير العبادة الإلهيّة - 4، 4* ، IV ،*Legatus divinae pietatis: مجموعة المصادر المسيحيّة 255، 66.*

[99] LÉON DEHON ، الدّليل الرّوحي لكهنة قلب يسوع الأقدس، ترنهوت 1936، II، الفصل VII، رقم 141.

[100] القدّيسة كاترينا من مدينة سيينا، *حوار العنايّة الإلهيّة*، (Fiorilli M. – Caramella S. (ed.:LXXV) ، باري 1928، 144.

[101] راجع مثلًا أنجيلوس فالز، *في عبادة قلب يسوع الإلهيّ في رهبنة الواعظين*، معهد الأنجيليكوم البابويّ، روما، 1937.

[102] Rafael García Herreros, *Vida de San Juan Eudes*, Bogotá 1943, 42.

[103] *رسالة إلى القدّيسة جوفانّا فرنشيسكا دي شانتال*، 24 نيسان/أبريل 1610: *الأعمال الكاملة للقدّيس فرنسيس دي ساليس، المجلّد* 2/8: الرّسائل 1605-1610، روما 2021، 686.

[104] *عظة في الأحد الثّاني للزّمن الأربعيني*، 20 شباط/فبراير 1622.

[105] *رسالة إلى القدّيسة جوفانّا فرنشيسكا دي شانتال في الاحتفال بعيد الصّعود في 1612*: القدّيس فرنسيس دي ساليس، *الأعمال الكاملة، المجلّد* 1611-1618)، II) روما 1967، 183، الرّسالة 781.

[106] *رسالة إلى ماريّا أماتا دي بلوناي (de Blonay*، 18 شباط/فبراير 1618: *المرجع نفسه*، 1056، الرّسالة 140.

[107] *رسالة إلى القدّيسة جوفانّا فرنشيسكا دي شانتال*، أواخر تشرين الثّاني/نوفمبر 1609: *المرجع نفسه*، 610، الرّسالة 552.

[108] *رسالة إلى القدّيسة جوفانّا فرنشيسكا دي شانتال*، حوالي 25 شباط/فبراير 1610: *المرجع نفسه*، 654، الرّسالة 573.

[109] *الحديث XIV، في البساطة والفطنة الرّهبانية*، 217 ،t.6.

[110] *رسالة إلى القدّيسة جوفانّا فرنشيسكا دي شانتال*، 10 حزيران/يونيو 1611: القدّيس فرنسيس دي ساليس، *الأعمال الكاملة، المجلّد* 1611-1618)، II) روما 1967، 56، الرّسالة 69.

[111] القدّيسة مرغريتا مريم ألاكوك، *السّيرة الذّاتيّة*، روما 1983، 131.

[112] *المرجع نفسه*.

[113] *المرجع نفسه*، 134.

[114] راجع دائرة عقيدة الإيمان، *قواعد للتّمييز في الظواهر خارقة الطّبيعة*، 17 أيّار/مايو 2024، 12، A. I.

[115] القدّيسة مارغريتا مريم ألاكوك، *السّيرة الذّاتيّة*، رقم 92، روما 1983، 180.

[116] المؤلّف نفسه، *رسالة إلى الرّاهبة من بارج (de la Barge)*، 22 تشرين الأوّل/أكتوبر 1689: *حياة وأعمال القدّيسة مارغريتا مريم ألاكوك، المجلّد* II، روما 1985، 301.

[117] المؤلّف نفسه، *السّيرة الذّاتيّة*، 53، *الأعمال المذكورة*، 132.

[118] *المرجع نفسه*، 55، *الأعمال المذكورة*، 134.

[119] القدّيس كْلُود دي لا كولومبيير، *خطاب في الثّقة بالله: خطابات مقدّسة في ربّنا وإلهنا يسوع المسيح، وفي سيّدتنا مريم العذراء، وفي القدّيسين، وفي الأواخر*، الخ...، المجلّد الثّالث، تورينو 1913، 484-485.

[120] المؤلّف نفسه، *رياضة روحيّة في لندن*، 1-8 شباط/فبراير 1677.

[121] المؤلّف نفسه، *رياضة روحيّة في ليون*، تشرين الأوّل/أكتوبر- تشرين الثّاني/نوفمبر 1674.

[122] راجع القدّيس شارل دي فوكو، *رسالة إلى مدام دي بوندي*، 27 نيسان/أبريل 1897: في *مجموعة شارل دي فوكو – الأرشيف الأبرشي في فيفيير*.

[123] المؤلّف نفسه، *رسالة إلى مدام دي بوندي*، 28 نيسان/أبريل 1901: شارل دي فوكو، *رسالة إلى مدام دي بوندي. من دير الترابيست (Trappa) إلى تامنراست (Tamanrasset)*، روما 1968، 73. راجع *رسالة إلى مدام دي بوندي*، 5 نيسان/أبريل 1909، "بِكِ عرفت السّجود للقربان الأقدس، والزّياحات، وقلب يسوع الأقدس": *المرجع نفسه*، 154.

[124] *رسالة إلى مدام دي بوندي*، 7 نيسان/أبريل 1890: شارل دي فوكو، *الأعمال المذكورة*، 29.

[125] *رسالة إلى الأب هوفلين*، 27 حزيران/يونيو 1892: شارل دي فوكو – الأب هوفلين، *مراسلات غير منشورة*، تورينو – ليومان 1965، 30.

[126] القدّيس شارل دي فوكو، *تأمّلات في العهد القديم (1896-1897)*، 1-21، XXX: شارل دي فوكو، *من يقدر أن يقاوم الله؟ تأمّلات في الكتاب المقدّس* (1896-1898)، روما 1983، 77-78.

[127] المؤلّف نفسه، *رسالة إلى الأب هوفلين*، 16 أيّار/مايو 1900: شارل دي فوكو – الأب هوفلين، *مراسلات غير منشورة*، تورينو – ليومان 1965، 132-133.

[128] المؤلّف نفسه، *اليوميات*، 17 أيّار/مايو 1906: *المؤلّفات الرّوحيّة*، روما 1983، 346.

[129] القدّيسة تريزا الطّفل يسوع من ليزيو، *الرّسالة 67 إلى عمّتها مدام جيران (Mme Guérin)*، 18 تشرين الثّاني/نوفمبر 1888: *الأعمال الكاملة*، حاضرة الفاتيكان 1997، 354.

[130] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 122 إلى سِلين (Celine)*، 14 تشرين الأوّل/أكتوبر 1890: *الأعمال الكاملة*، 421.

[131] المؤلّف نفسه، *شِعر 23، إلى قلب يسوع الأقدس*، حزيران/يونيو وتشرين الأوّل/أكتوبر 1895: *الأعمال الكاملة*، 667-668.

[132] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 247، إلى الأب موريس بيلييه (Maurice Bellière)*، 21 حزيران/يونيو 1897: *الأعمال الكاملة*، 587.

[133] المؤلّف نفسه، *المحادثات الأخيرة. الدّفتر الأصفر*، 11 تموز/يوليو 1897: *الأعمال الكاملة*، 1014-1015.

[134] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 197، إلى الرّاهبة الأخت ماريا لقلب يسوع الأقدس*، 17 أيلول/سبتمبر 1896: *الأعمال الكاملة*، 537-538. هذا لا يعني أنّ تريزا لم تقدّم التّضحيات والآلام ومختلف الشّدائد، لتشارك يسوع في آلامه، لكنّها عندما أرادت أن تسير في العمق، لم تُردْ أن تعطي لهذه الآلام والتّضحيات قيمة ليست لها.

[135] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 142، إلى سِلين* (Celina، 6 تموز/يوليو 1893: *الأعمال الكاملة*، 451.

[136] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 191، إلى ليوني* (Leonie، 12 تموز/يوليو 1896: *الأعمال الكاملة*، 528.

[137] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 226، إلى الأب رولان* (P. Roulland، 9 أيّار/مايو 1897: *الأعمال الكاملة*، 573.

[138] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 258، إلى الأب موريس بيلير* (Maurice Bellière، 18 تموز/يوليو 1897: *الأعمال الكاملة*، 598.

[139] راجع القدّيس أغناطيوس دي لويولا، *الرّياضة الرّوحيّة*، 104، روما 1984، 110.

[140] *المرجع نفسه*، 297: *الأعمال المذكورة*، 211.

[141] راجع *رسالة إلى القدّيس أغناطيوس*، 23 كانون الثّاني/يناير 1541.

[142] *سيرة القدّيس أغناطيوس ومبادئ الرّهبنة اليسوعيّة*، Bilbao-Santander 2021، 147، 96، c. 8 .

[143] القدّيس أغناطيوس دي لويولا، *الرّياضة الرّوحيّة*، 54، روما 1984، 80.

[144] راجع *المرجع نفسه*، 230 وما يليه.

[145] المجمع العامّ الثّالث والعشرون للرّهبنة اليسوعيّة، مرسوم 46، 1: *معهد الرّهبنة اليسوعيّة*، 2، فلورنسا 1893، 511.

[146] *فيه رجائي*، ميلانو 1983، 180.

[147] *رسالة إلى الرّئيس العام للرّهبنة اليسوعيّة*، Paray-le-Monial، 5 تشرين الأوّل/أكتوبر 1986.

[148] *محاضرات لآباء الرّسالة*، 132، 13 آب/أغسطس 1655، *"الفقر"*: القدّيس منصور دي بول، *الأعمال، المجلّد 10، روما 2008، 208.*

[149] *محاضرات لراهبات بنات المحبّة*، 89، 9 كانون الأوّل/ديسمبر 1657، *"التقشف، والمراسلة، والطعام والسّفر"* (*قوانين عامّة، الأعداد 24-27*): *الأعمال المذكورة*، المجلّد 9، 807.

[150] القدّيس دانيال كومبوني، *الكتابات*، 3324: دانيال كومبوني، *الكتابات*، بولونيا 1991، 998.

[151] راجع *عظة في القدّاس الإلهي لإعلان قداسة الطّوباوي جوزيف سيباستيان بيلكزار*، 18 أيّار/مايو 2003: *L'Osservatore Romano*، 19-20 أيّار/مايو 2003، 6.

[152] رسالة بابويّة عامّة، *غني بالرّحمة - Dives in misericordia*، 30 تشرين الثّاني/نوفمبر 1980، 13: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 72 (1980)، 1219.

[153] *التّعليم المسيحيّ أثناء المقابلة العامّة*، 20 حزيران/يونيو 1979: *L'Osservatore Romano*، 22 حزيران/يونيو 1979، 1.

[154] المرسلون الكومبونيّون لقلب يسوع، *قانون الحياة و القوانين والدّليل العام*، روما 1988، 3.

[155] راهبات قلب يسوع الأقدس، *قوانين سنة 1982*، 7.

[156] رسالة بابويّة عامّة، *الفادي الرّحيم* - *Miserentissimus Redemptor*، 8 أيّار/مايو 1928: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 20 (1928)، 174.

[157] عندما تُمارس فضيلة الإيمان، وتُوجّه إلى المسيح، فإنّ النّفس لا تصل فقط إلى الأفكار التي يجب أن نتذكّرها، بل إلى حقيقة حياته الإلهيّة (راجع القدّيس توما الأكوينيّ، *الخلاصة اللاهوتيّة*، II-II, q. 1, a. 2, ad. 2; q. 4, a. 1).

[158] بيوس الحادي عشر، رسالة بابويّة عامّة، *الفادي الرّحيم* - *Miserentissimus Redemptor*، 8 أيّار/مايو 1928: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 20 (1928)، 174.

[159] *عظة في قدّاس الميرون المقدّس*، 28 آذار/مارس 2024: *L'Osservatore Romano*، 28 آذار/مارس 2024، 2.

[160] القدّيس أغناطيوس دي لويولا، *الرّياضة الرّوحيّة*، 203، روما 1984، 160.

[161] *عظة في قدّاس الميرون المقدّس*، 28 آذار/مارس 2024: *L'Osservatore Romano*، 28 آذار/مارس 2024، 2.

[162] القدّيسة مارغريتا مريم ألاكوك، *السّيرة الذّاتية*، بند 55: روما 1983، 134.

[163] المؤلّف نفسه، *الرّسالة* 133، 10: *كتابات السّيرة الذّاتيّة*، روما 1984، 182-183.

[164] المؤلّف نفسه، *السّيرة الذّاتية*، بند 92، *الأعمال المذكورة*، 180.

[165] رسالة بابويّة عامّة، *السّنة المقدّسة* - *Annum sacrum*، 25 أيّار/مايو 1899، 8.

[166] يوليانوس، *الرّسالة XLIX إلى أرساشيوس أسقف غلاطيّة*، 90-91، Mainz 1828.

[167] *المرجع نفسه*.

[168] دائرة عقيدة الإيمان، *إعلان الكرامة التي لا حدود لها*، 2 نيسان/أبريل 2024، 19: *L'Osservatore Romano*، 8 نيسان/أبريل 2024.

[169] راجع بندكتس السّادس عشر، *رسالة إلى الرّئيس العام للرّهبنة اليسوعيّة في الذّكرى الخمسين للرّسالة البابويّة العامّة تستقون المياه (Haurietis Aquas)*، 15 أيّار/مايو 2006: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 98 (2006)، 461.

[170] *في سفر العدد، العظة* 12، 1: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اليونانيّة 12، 657.

[171] *الرّسالة* 29، 24: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 16، 1060.

[172] *الرّد على آريوس* 1 - 8، *Adv. Arium* 1: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 8، 1044.

[173] *المجلّد في شرح إنجيل يوحنّا* 32، 4: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 35، 1643.

[174] *في إنجيل القدّيس يوحنّا*، الفصل VII، القراءة 5.

[175] بيوس الثّاني عشر، رسالة بابويّة عامّة، *تستقون المياه* - *Haurietis Aquas*، 15 أيّار/مايو 1956، II: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 48 (1956)، 321.

[176] القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، رسالة بابويّة عامّة، *أمّ الفـَادي* - *Redemptoris Mater*، 25 آذار/مارس 1987، 38: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 79 (1987)، 411.

[177] المجمع الفاتيكاني الثّاني المسكونيّ، دستور عقائدي، *نور الأمم* - *Lumen gentium*، 62.

[178] *المرجع نفسه*، 60.

[179] *عظة في سفر نشيد الأناشيد*، 4 ،XX: مجموعة المؤلّفات لآباء الكنيسة اللاتينيّة 183، 869.

[180] *مدخل إلى حياة العبادة*، الجزء III، الفصل XXXV: *الأعمال الكاملة للقدّيس فرنسيس دي ساليس*، المجلّد 3: *فيلوثيا. مدخل إلى حياة العبادة*، روما 2009، 220-221.

[181] *عظة الأحد السّابع عشر بعد العنصرة*.

[182] *يسوع وآلامه، رياضة روحيّة في النّاصرة، 5-15 تشرين الثّاني/نوفمبر 1987*: شارل دي فوكو، *الحياة المخفيّة. رياضات روحيّة في الأرض المقدّسة (1897-1900)*، روما 1974، 72.

[183] من 19 آذار/مارس 1902، كانت رسائله كلّها مُعَنوَنة بالكلمتَين: يسوع محبّة، ويفصل بينهما قلب يعلوه صليب.

[184] *رسالة إلى الأب هوفلين* (*Huvelin*)، 15 تموز/يوليو 1904: *المؤلّفات الرّوحيّة*، روما 1983، 633.

[185] *رسالة إلى الأب مارتين*، 25 كانون الثّاني/يناير 1903: شارل دي فوكو، *هذا المكان الأخير العزيز. رسائل إلى إخوتي الترابيست*، باريس، 2012، 311.

[186] ورد في رينيه فوالوم (*René Voillaume*)، *أديرة الأخُوّة للأب دي فوكو*، باريس 1946، 173.

[187] *تأمّلات من الأناجيل المقدّسة في المقاطع التي لها صلة بالفضائل الخمس عشرة*، النّاصرة 1897-1898، *المحبّة* 77 (متّى 20، 28): شارل دي فوكو، *تأمّلات من الأناجيل المقدّسة في المقاطع التي لها صلة بالله وحده، والإيمان والرّجاء والمحبّة (1897-1898)*، روما، 1973، 325.

[188] *المرجع نفسه*، *المحبّة* 90 (متّى 27، 30): *الأعمال المذكورة*، 338.

[189] الأب هوفلين، *بعض مرشدي النّفوس في القرن السّابع عشر*، باريس 1911، 97.

[190] راجع *محاضرة إلى راهبات بنات المحبّة*، 85، 11 تشرين الثّاني/نوفمبر 1657، *"خدمة المرضى والاهتمام بصحّتهم"*، *قوانين عامّة*، الأعداد 12-16: القدّيس منصور دي بول، *الأعمال*، المجلّد 9، روما 2008، 757.

[191] *قوانين وأنظمة لرهبنة الرّسالة*، روما 1984، 110.

[192] *رسالة إلى الرّئيس العام للرّهبنة اليسوعيّة*، 5 ،Paray le Monial تشرين الأوّل/أكتوبر 1986: *L'Osservatore Romano*، 6 تشرين الأوّل/أكتوبر 1986، 7.

[193] القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، الإرشاد الرّسوليّ بعد السّينودس، *المصالحة والتوبة* - *Reconciliatio et Paenitentia*، 2 كانون الأوّل/ديسمبر 1984، 16: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 77 (1985)، 215.

[194] راجع المؤلّف نفسه، الرّسالة البابويّة العامّة، *الاهتمام بالشّأن الاجتماعي* - *Sollicitudo rei socialis*، 30 كانون الأوّل/ديسمبر 1987، 36: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 80 (1988)، 561-562.

[195] المؤلّف نفسه، الرسالة البابويّة العامّة، *السّنة المِئَة* - *Centesimus annus*، 1 أيّار/مايو 1991، 41: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 83 (1991)، 844-845.

[196] *التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة*، 1888.

[197] راجع *التّعليم المسيحيّ أثناء المقابلة العامّة*، 8 حزيران/يونيو 1994، 2: *L'Osservatore Romano*، 9

[198] *كلمة للمشاركين في النّدوة الدّوليّة "إصلاح ما لا يمكن إصلاحه"، في الذّكرى 350 لظهور يسوع في Paray-le-Monial*، 4 أيّار/مايو 2024: *L'Osservatore Romano*، 4 أيّار/مايو 2024، 12.

[199] *المرجع نفسه*.

[200] *عظة في قداس الصّباح في بيت القدّيسة مارتا*، 6 آذار/ مارس 2018: *L'Osservatore Romano*، 5-6 آذار/مارس 2018، 8.

[201] *كلمة للمشاركين في النّدوة الدّوليّة "إصلاح ما لا يمكن إصلاحه"، في الذّكرى 350 لظهور يسوع في Paray-le-Monial*، 4 أيّار/مايو 2024: *L'Osservatore Romano*، 4 أيّار/مايو 2024، 12.

[202] *عظة في قدّاس الميرون المقدّس*، 28 آذار/مارس 2024: *L'Osservatore Romano*، 28 آذار/مارس 2024، 2.

[203] *المرجع نفسه*.

[204] *المرجع نفسه*.

[205] رسالة بابويّة عامّة، *كُنْ مُسَبّحًا*، 24 أيّار/مايو 2015، 80: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 107 (2015)، 879.

[206] *التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة*، رقم 1085.

[207] *المرجع نفسه*، رقم 268.

[208] *السّيرة الذّاتيّة*، روما 1983، 131.

[209] القدّيسة تريزا الطّفل يسوع من ليزيو، *المخطوطة A*، 84r°: *الأعمال الكاملة*، روما 1997، 209-210.

[210] *المرجع نفسه*، *الأعمال المذكورة*، 210.

[211] *المرجع نفسه*.

[212] المؤلّف نفسه، *المخطوطة A*، 83v°: *الأعمال المذكورة*، 209؛ راجع *رسالة 226 إلى الأب أدولف رولان* (*P. Adolfo Roulland*)، 9 أيّار/مايو 1897: *الأعمال المذكورة*، 572.

[213] المؤلّف نفسه، *تقدمة نفسي ذبيحة محرقة لحبّ الله الرّحيم*، 2r°-2v°: *الأعمال المذكورة*، 943.

[214] المؤلّف نفسه، *المخطوطة B*، 3v°: *الأعمال المذكورة*، 223.

[215] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 186، إلى ليوني* (*Leonie*)، 11 نيسان/أبريل 1896: *الأعمال المذكورة*، 521.

[216] المؤلّف نفسه، *الرّسالة 258، إلى الأب موريس بيلير*، 18 تموز/يوليو 1897، 2r°: *الأعمال المذكورة*، 598.

[217] راجع بيوس الحادي عشر، رسالة بابويّة عامّة، *الفادي الرّحيم - Miserentissimus Redemptor*، 8 أيّار/مايو 1928: *أعمال الكرسيّ الرّسوليّ* 20 (1928)، 169.

[218] *المرجع نفسه*.

[219] القدّيس يوحنّا بولس الثّاني، *التّعليم المسيحيّ أثناء المقابلة العامّة*، 20 حزيران/يونيو 1979: *L'Osservatore Romano*، 22 حزيران/يونيو 1979، 1.

[220] *عظة في قداس الصّباح في بيت القدّيسة مارتا*، 27 حزيران/يونيو 2014: *L'Osservatore Romano*، 28

[221] *رسالة في الذّكرى المئويّة لتكريس الجنس البشري لقلب يسوع الأقدس*، وارسو، 11 حزيران/يونيو 1999، في الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس: *L’Osservatore Romano*، 12 حزيران/يونيو 1999، 5.

[222] *المرجع نفسه*.

[223] *رسالة إلى رئيس أساقفة ليون في مناسبة رحلة الحج إلى Paray-le-Monial (فرنسا)، في الذّكرى المئويّة لتكريس الجنس*
البشري لقلب يسوع الأقدس، 4 حزيران/يونيو 1999: *L’Osservatore Romano*، 12 حزيران/يونيو 1999، 4.

[224] *محاضرات إلى كهنة الرّسالة*، 135، 22 آب/أغسطس 1655، *تكرار الصّلاة*: القدّيس منصور دي بول، *الأعمال*، *المجلّد* 10، روما 2008، 237-238.

[225] *الرّسالة* 25 ،*Diserti interpretes* أيّار/مايو 1965، 4: *كُتيّب الحياة المكرّسة*، بولونيا – ميلانو 2001، رقم 3809.

[226] *الحياة الجديدة* 5-6، XIX.

[227] *المخطوطة* 45v ،A°: *الأعمال الكاملة*، روما 1997، 146.

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2024

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana